سلسلة الخلفاء الراشدين

الخليفة الراشدي
أبو بكر الصديق

تأليف
جميل محمد أبو الندى



دار رواد المجد
دار العصماء

الخليفة الراشدي

أبو بكر الصديق



سِلسِلَةُ الخُلفاءِ الرّاشِدين

الخَلِيفَةُ الرّاشِدِيُّ

أبو بكر الصّدّيق

تأليف

جميل محمّد أبو النّدى





الطبعة الأولى

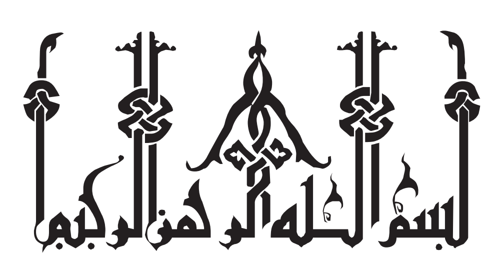
1439 هـ 2018 م





فــرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتـف: 2224279 -11-00963 - تلفاكس: 2257554 -11-00963
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين -السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتـف: 2770433 -11-00963 تلفاكس: 2752882 -11-00963
ص.ب: 36267 - موبايل - واتس: 944/349434 -00963

E-mail:daralasma@gmail.com



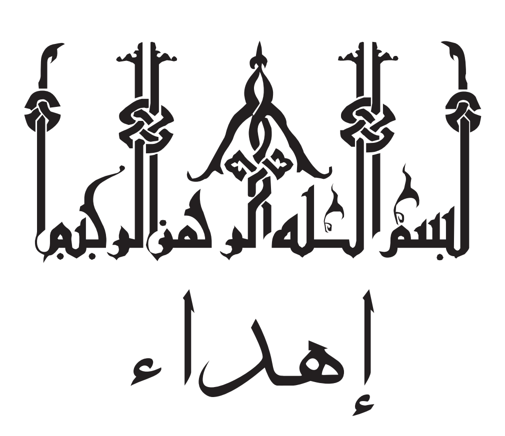
مقدمة

الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم أجمعين) هم المثل الأعلى بعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فهم قدوتنا وسادتنا، وهم السبيل المضيء، والدرب المستقيم الذي إن سرنا على هداه وصلنا إلى بر الأمان.

الخلفاء الراشدون هم نموذجٌ للسير الحميدة، والسلوك القويم، والعطاء الجزيل، والشموخ المضيء، والأخلاق الفاضلة؛ لذلك الكتابة عنهم أمرٌ تقف عنده الكلمات والمعاني بتواضعٍ خجل، فماذا سنكتب عن العظماء؟! وماذا سنقول عن العلماء؟! فنحن مهما قلنا أو كتبنا لا تسعفنا الكلماتُ ولا نستطيع أن نوفيهم حقهم، لكننا يجب أن نكتبَ حتى تكتمل الصورة المشرقة لهؤلاء - ورثة الأنبياء - بعلمهم وأخلاقهم وحسن أدبهم، وجزيل عطائهم وبصماتهم التي ما زالت تضيء كل ظلمة، وتنير كل الدروب المليئة بالجهل، وتزيح الستار عن كل عيب ومكروه وحرام، وتشعل فوانيس الهدى للوصول بنا إلى شاطئ المحبة والرضا من الله (عز وجل). وإنني أرجو المولى (جل جلاله) أن يكون قد ألهمني أن أكتب عن سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) شيئًا مما يستحقه؛ لأنني لا أدّعي القدرة بأنني قد وفَّيته إلا جزءًا من حقّه علينا، فسيرته العطرة وسيرة الخلفاء الراشدين يجب أن تناقلها الأجيالُ جيلًا بعد جيل: فكرًا وأدبًا وتاريخًا وسلوكًا؛ فهم عظماء الإسلام والمسلمين بعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى يوم الدين.

فعلينا أن نفخر بهم عن إيمانٍ ومحبةٍ ويقين؛ لأنهم علماء للبشرية كلها، ولكل زمان ومكان، وقد أصبحوا كالماء والهواء والغذاء لا غنًى لنا ولأجيالنا القادمة عن سيرهم ومناهجهم، التي أصبحت معرفتُها ضرورة ملحة لأن في تجاربهم وسلوكهم وأقوالهم وأفعالهم؛ الحلَّ والدواء لكل ما نحتاج إليه، ويكفيهم فخرًا وعزًّا أنهم حملوا الإسلام قرآنًا وسنةً وسلوكًا للعالم كله. جزاهم الله عنّا كلَّ خير.

المؤلف



إهداء

إلى أبنائي وأحفادي وأهلي وأحبتي، وإلى كل من يقرأ هذه السيرة التاريخية الموضوعية لسيدنا أبي بكر الصديق(رضي الله عنه). إلى كل هؤلاء، أهدي ما ألهمني الله (عز وجل) كتابته بتواضع المسلم المحب لعلماء الإسلام والمسلمين، لاسيما الخلفاء الراشدين؛ لأنهم مهما كتبنا عنهم لا نوفّيهم حقهم من الشكر والامتنان، وعلينا أن نكتب ولا نبخل بالكتابة عنهم؛ فهم الذين ثبتوا دين الإسلام ونشروه، فوصل إلينا بتمامه وكماله. وها نحن ننعم بفضل الله وفضلهم (بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) وهذه من أعظم النعم التي حملها لنا هؤلاء العظماء.

فالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين - سيدنا محمد - وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف



- اسم أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- صفاته الجسمية - ألقابه - صفاته الأخلاقية - علمه.
- أسرة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- إسلامه، وهجرته.
- الآيات، والأحاديث، وكلام الصحابة بشأن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

الفصل الأول

اسم أبي بكر (رضي الله عنه) ونسبه:[1]

هو عبد الله بن عثمان (أبو قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر التميمي القرشي، يجتمع مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في مرة بن كعب.

- **أمه:** سلمى بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن كنانة بن سعد بن تيم بن مرة، (أم الخير). وقد أسلمت مبكرًا.[2]

- **مولده:** ولد لسنتين من ميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) ولثلاثة أعوام من عام الفيل، ونشأ في مكة المكرمة. وكان ملازمًا للنبي (صلى الله عليه وسلم) قبل النبوة، ولم يخرج من مكة المكرمة إلا للتجارة.

صفاته الجسمية:

أخرج ابن سعد عن عائشة (رضي الله عنها) أن رجلًا قال لها: صفي لنا أبا بكر. فقالت: (رجل أبيض نحيف خفيف العارضين، أحدب الظهر، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، قليل لحم الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، قليل اللحم في أصابعه، وكانت له لحية يخضبها بالحناء، حسن القامة، أقنى الأنف، دقيق الساقين).[3]

ألقابه:

- **عبد الكعبة:** هذا لقبه في الجاهلية؛ لأن الكعبة كانت رمزًا للعبادة، فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبد الله.
- **العتيق:** لقب بهذا اللقب؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) بشره بعتقه من النار، عندما دخل عليه، وقال له: (أنت عتيقٌ من النار)، فيومئذٍ سمي عتيقًا، وكان قبلها يسمى (عبد الله بن عثمان)[4] وقيل العتيق لعتق أمهاته، والعتيق عند

---

(١) أبو بكر: أي الفتى من الإبل.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعالم الجوهر، ج ٢ ص ٢٦٥ الطبراني في المعجم الكبير، ج ١ ص ٥٣ البزار، ٢٢١٣

(٣) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٨٨ الطبري، ج ٢ ص ٢٥٠ الطبراني في المعجم، ج ١ ص ٥٦

(٤) الترمذي، ٣٦٧٩ الحاكم، ٣٥٥٧

العرب (أي الكريم في كل شيء)، وقيل لعتاقة وجهه (أي لجماله)، وقيل لقدمه في عمل الخير، وقيل لنسبه (أي طهارته) إذ لم يكن في نسبه شيء يُعاب،[١] وقيل لأن أمه دعت له عند الكعبة: (يا رب هبه لي من النار) أي اتركه يعيش.

- **الصدّيق:** وهو لقب لما عرف عنه من الصدق في الجاهلية، وقيل لأنه أول من بادر لتصديق النبي(ﷺ) فيما كان يخبر به. ولعل ما زاد من شهرته بلقب الصديق هو خبر الإسراء والمعراج، قالت عائشة رضي الله عنها: (جاء المشركون إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم. فقال: لقد صدق، إني لأصدقه بأبعد من ذلك، بخبر السماء غدوة وروحة، لذلك سمي بالصديق)[٢]

  وأخرج الطبراني عن حكيم بن سعد، قال: سمعت عليًّا (رضي الله عنه) يقول ويحلف: (لأنزل اللهُ جل جلاله اسم أبي بكر من السماء الصديق).[٣]

  وفي صحيح البخاري عن أنس (رضي الله عنه) قال: إن النبي (ﷺ) صعد جبل أُحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)، فرجف بهم الجبل، فقال: (اثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان)[٤]

- **الصاحب:** كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥]

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١

(٢) السيوطي، ص ٣٥ الحاكم، ٤٤٥٨

(٣) الطبراني في الكبير، ج ١ ص ٥٥ الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩ ص ٤١ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦

(٤) البخاري، ٣٦٧٥

(٥) التوبة، آية ٤٠

- **الأتقى:** وذلك لما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾[١]
- **الأوّاه:** ورد عن إبراهيم النخعي: (كان أبو بكر الصديق يسمّى الأوّاه، وذلك لشدة رأفته ورحمته بالناس ورعايته للضعفاء).[٢]

صفاته الأخلاقية:

- **الزهد:** كان من أزهد الناس، وأكثرهم تواضعًا في أخلاقه ولباسه وطعامه وشرابه، فكان لباسه في خلافته (الشملة والعباءة)[٣] رغم أنه كان ذا مال وفير، لكن أخلاقه رفيعة عالية، وقد قابل (ذو الكلاع) ملك حمير اليمني ومعه وفدٌ من ألف عبد ما عدا أفراد عشيرته، وكان يلبس البرد والحلل الحريرية، فلما رأى ما كان عليه أبو بكر - وهو خليفة للمسلمين - من بساطة اللباس؛ أعجب به وتزَيَّا بزيه، فعاتب المهاجرون والأنصار أبا بكر بسبب لباسه، فقال لهم: (أفأردتم مني أن أكون ملكًا جبارًا في الجاهلية، جبارًا في الإسلام؟ لا والله لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع له، والزهد في هذه الدنيا).

أخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، قال: لما احتضر أبو بكر، قال):يا عائشة، انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي نصطبغ فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين، فإذا مت؛ فرُدِّيه إلى عمر بن الخطاب). فلما مات أبو بكر (رضي الله عنه) أرسلت به إلى عمر (رضي الله عنه)، فقال عمر: (رحمك الله يا أبا بكر، لقد أتعبت من جاء بعدك).[٤] وقالت عائشة (رضي الله عنها): (والله ما ترك أبو بكر دينارًا ولا درهمًا ضرب الله سكته)[٥] أي عملة مسكوكة.

---

(١) الليل، من الآية ١٤ إلى الآية ١٧

(٢) ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ١٧١

(٣) الشملة: كساء يشتمل به.

(٤) الطبراني في الكبير، ج ١ ص ٦٠ الهيثمي في الزوائد، ج ٥ ص ٤١٦ (اللقحة ذات البن من النوق - الجفنة وعاء يوضع فيه الطعام - الاصطباغ أي الإدام من الطعام).

(٥) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٩٥

- **الصدق:** وهي صفة ولقب، وسلوك وأخلاق رفيعة، تحلى بها الصديق أبو بكر (رضي الله عنه).

ومن صفاته الحميدة، أنه لم يقل شعرًا قط، ولم يشرب الخمر هو وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) في الجاهلية، وحرَّمه على نفسه[١]

- كان من رؤساء قريش، ومن كبار رجالات العرب في الجاهلية، ومن أهل مشورتهم، وظل في تلك الصفات حتى وفاته[٢]
- كان من أكثر رجالات قريش علمًا، وله أمر الديّات والعزم، وهو من أحد عشر من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام.[٣]
- أسلم على يديه كثير من العرب، أبرزهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله (رضي الله عنهم أجمعين).

السبْق (الأول):

- هو أول من أسلم من الرجال.
- أول من جمع القرآن الكريم، وسمّاه مصحفًا.
- أول من سمي خليفة، وقد قيل لأبي بكر (رضي الله عنه) يا خليفة الله، فقال: (أنا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنا راضٍ به).[٤]
- هو أول من وُلّي الخلافة وأبوه حي.
- أول خليفة فرضت له رعيته العطاء؛ لأنه لما اسْتخلف أصبح غاديًا إلى السوق ومعه أثوابٌ يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: كيف، وقد وُليت أمر المسلمين؟ قال: ومن أين أُطعم عيالي؟ قالا: انطلق معنا حتى نفرض لك شيئًا. وقد فرضوا له شطر شاة وكسوة في الرأس والبطن، وجعلوا له ألفين من الدراهم. فقال: زيدوني، فإن لي عيالًا، وشغلتموني عن التجارة، فزاداه خمسمائة درهمًا.[٥]

---

(١) السيوطي، ص ٣٧ حلية الأولياء، ج ٧ ص ١٦٠

(٢) تهذيب الأسماء للنووي، ج٢ ص ٤٧٣

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤

(٤) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٨٣ ابن أبي شيبة، ص ٣٧٠٤

(٥) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٨٣

- هو أول من اتخذ بيتَ المال للمسلمين، وكان مقره في السنح، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وكان دون حراسة يعطي منه فقراء الناس، ولما توفي دخله عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان؛ فلم يجدوا فيه مالًا.[١]
- أول لقب في الإسلام لُقب به أبو بكر الصديق هو لقب (العتيق).

ومن فضائله أنه روى عن رسول الله (ﷺ) مائة واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلة رواياته عن النبي (ﷺ) أن وفاة النبي (ﷺ) كانت قبل انتشار الأحاديث النبوية، واعتناء التابعين بسماعها وجمعها،[٢] وقد روى عن أبي بكر الصديق عددٌ كبير من الصحابة، منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود.... وغيرهم كثير.

خوفه من الله (عز وجل)

- قال أبو بكر الصديق: (لوددت أني شعرة في جنب عبدٍ مؤمن)
- دخل أبو بكر - مرةً - حائطًا، وإذا بدبسي (طائر صغير) في ظل شجرة، فقال أبو بكر: طوبى لك يا طير تأكل من الشجرة، وتستظل بالشجرة، وتصير إلى غير حساب، يا ليت أبا بكر مثلك.[٣]
- قال مرَّةً: (وددت أني خضرة تأكلني الدواب)[٤]
- كان يذكر الموت دائمًا، ويردد هذا البيت من الشعر:

لا تزال تنعي حبيبًا حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه[٥]

شجاعته:

قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): لم أعقل أبواي إلا وهما يدينان بالإسلام، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله (ﷺ) طرفي النهار بكرة وعشية).

---

(١) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢١٣

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ٧٩

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٩٥

(٤) ابن سعد، ج ٣ ص ١٩٨

(٥) ابن أبي شيبة، ٣٥٠٥ ابن سعد، ج ٣ ص ١٩٩

وقد ظل أبو بكر ملازمًا للنبي (ﷺ) من حين أسلم إلى أن توفي، إلا فيما أذن له. وقد شهد مع النبي (ﷺ) المشاهد كلها، وصحبه في الهجرة إلى المدينة المنورة، وكان رفيقه في الغار. وقد ثبت يوم معركة أُحد، ويوم حُنين عندما هرب الناس؛ لذلك قال عنه سيدنا علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه": إنه أشجع الناس؛ لأنه دافع عن النبي (ﷺ) دفاعًا يدل على الإخلاص والحب والتضحية والوفاء، والشجاعة المتناهية.

وقد قال سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أما وإني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، لكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق؛ إنه يوم بدرٍ جعل لرسول الله (ﷺ)عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله (ﷺ) لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟ فو الله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله (ﷺ)لا يهوي إليه أحدٌ إلا هوى إليه أبو بكر؛ فهو أشجع الناس.[1]

وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) في موقف آخر: كانت قريش تعتدي على رسول الله (ﷺ) فلم يدنُ منه أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟ وقال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خيرٌ من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون؛ ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.[2]

وقد ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنّ النبي (ﷺ) قال له يوم بدر، ولأبي بكر الصديق: (مع أحدكم جبريل، ومع الآخر ميكائيل).[3]

ورُوي عن أحمد والبخاري عن عروة بن الزبير، أنه قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله (ﷺ)، قال: رأيت عقبة بن معيط عندما جاء إلى النبي (ﷺ) وهو يصلي، فوضع رداءه في عنق النبي (ﷺ) فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر (رضي الله عنه)، ودفعه عنه، وقال: (أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).[4]

---

(١) الحاكم، ٤٤٣٠ أحمد، ج ١ ص ١٤٧

(٢) الحاكم، ٤٤٣٠ أحمد، ج ١ ص ١٤٩

(٣) الحاكم، ٤٤٣١ أحمد، ج ١ ص ١٥٠

(٤) أحمد، ج ٢ ص ٢٠٤ البخاري، ٣٦٧٨

جوده وكرمه:

كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) من أجود الناس، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾.[١]

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما نفعني مالٌ قط، ما نفعني مال أبو بكر)، فبكى أبو بكر (رضي الله عنه) وقال: (هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟).

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما لأحد عندنا من يد إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر؛ فإن له عندنا يدًا يكافئه اللهُ بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قط، ما نفعني مال أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإنّ صاحبَكم خليلُ الله).[٢]

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه[٣] وعندما أسلم أبو بكر كان لديه أربعون ألف درهمًا - وقيل دينارًا - أنفقها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد اعتق أبو بكر الصديق سبعة كلهم كان يُعذب في الله.[٤]

روى أبو داوود والترمذي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، قال: (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليومَ أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - !! قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله. قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا)[٥]

حلمه، وتواضعه:

- ليس أدل على حلمه وتواضعه إلا أنه حلب الغنم لجواري الحي قبل أن يصبح خليفة للمسلمين[٦] وعندما أصبح خليفة كان يسبق الصحابةَ لعمل الخير. وقد قالت

---

(١) الليل، الآية ١٧ - ١٨

(٢) الترمذي، ٣٦٦١ ابن حيان، ٦٨٥٨ ابن ماجه، ص ٩٤ أحمد، ج ٢ ص ٢٥٣

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤٠

(٤) السيوطي، ص ٤١ الإصابة، ج ٤ ص ١٧١

(٥) الترمذي، ٣٦٧٥ أبو داوود، ١٦٧٨ الحاكم، ١٥١٠ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣ ص ٣٢٢

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٣ ص ١٨٦

جارية من الحي عندما بويع أبو بكر بالخلافة: الآن، لا تحلب لنا منائح دارنا! فقال أبو بكر: بلى، لأحلبنها لكم، وإني لأرجو الله أن لا يغيرني في ما دخلت فيه من خُلق كنت عليه. فكان يحلبُ لهن.[1]

- أخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يتعهد عجوزًا عمياء في بعض حواشي المدينة المنورة من الليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره سبقه إليها، فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة كيلا يسبقه إليها أحد فرصدَه، فإذا هو أبو بكر الذي يأتيها وهو - يومئذٍ - خليفة للمسلمين، فقال عمر: (أنت هو لعمري)[2]

فصاحته:

كان أبو بكر أفصح الناس وأخطبهم هو وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، وكان أقرأ الصحابة أي أعلمهم بالقرآن الكريم؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قدّمه إمامًا للصلاة بالصحابة مع قوله:(يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل)[3]

وأخرج الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول(صلى الله عليه وسلم): (لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره).[4]

علمه:

كان أبو بكر الصديق أعلم الناس بأنساب العرب، لاسيما قبيلة قريش. وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وقد ألفه الناس لعلمه وتجارته وحسن معاملته وطيب مجالسته[5] حتى أنّ جبير بن مطعم كان من أنسب العرب وأنسب قريش لقريش، لكنه كان يقول: (إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق).[6]

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٤ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣ ص ٣٢٢ الطبقات، ابن سعد، ج ٣ ص ١٨٦

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٨٠

(٣) السيوطي، ص ٨٣ مسلم، ٦٧٣ عن ابن مسعود الأنصاري

(٤) السيوطي، ص ٤٥ ورواه الترمذي، ٣٦٧٣

(٥) ابن إسحق في السيرة، ص ١٢١ ابن هشام في السيرة النبوية، ج ١ ص ١٢١

(٦) تهذيب الكمال، ج ٤ ص ٥٠٨

وكان حجة في علم تعبير الرؤيا، وقد قال محمد بن سيرين، وهو المقدم في هذا العلم: (كان أعبر هذه الأمة بعد نبيها محمد (ﷺ) أبو بكر الصديق).[(١)]

ومن إحدى تفسيراته، قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطت في حجرتي)، فسألت أبا بكر (رضي الله عنه)، فقال: (يا عائشة، إن تصدق الرؤيا يُدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة)، فلما قبض رسول الله (ﷺ) ودفن في بيتها، قال: (يا عائشة، هذا خير أقمارك، وهو أحدها)[(٢)]

وأخرج ابن سعد عن الزهري، قال: (رأى رسول الله (ﷺ) رؤيا، فقصها على أبي بكر، فقال: رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجة، فسبقتك بمرقاتين ونصف، قال: يا رسول الله، يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة، وأعيش بعدك سنتين ونصف)[(٣)]

وجاء رجل إلى أبي بكر، وقال: رأيت في المنام، كأني أبول دمًا، قال: أتأتي امرأتك وهي حائض؟ قال: نعم، قال: اتق الله، ولا تعد.

سُئل ابن عمر: (من كان يُفتي الناس زمن النبي (ﷺ)؟ فقال: أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ما أعلم غيرهما)[(٤)]

وكان أعلم الصحابة بالسنة النبوية. وكان إذا جاءه خصمان، نظر في كتاب الله (عز و جل)، فإن وجد فيه ما يقضي بينهما قضى، وإن لم يجد في الكتاب، وعلم من رسول الله (ﷺ) ذلك الأمر (أي من سنته) قضى به، فإن أعياه ولم يجد؛ خرج، فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله (ﷺ) قضى في مثل ذلك بقضاء؟ فإن أعياه أن يجد فيهم مَن يعلم من سنة النبي (ﷺ) ما يقضي به بين الخصمين؛ جمع رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم، فإن أجمعوا على أمر قضى به. هكذا كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أفضل الصحابة بامتياز، وهو أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ)، ثم يأتي العشرة المبشرون بالجنة، ثم باقي أهل بدر، وأهل أُحد، وأهل البيعة، وباقي الصحابة.[(٥)] وقد وردت روايات تؤكد ذلك منها:

---

(١) ابن سعد، ج٣ ص ١٧٦

(٢) الحاكم، ٤٤٠٠

(٣) طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ١٧٧

(٤) ابن سعد في الطبقات، ج ٢ ص ٣٣٥

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤

- روى البخاري عن ابن عمر(رضي الله عنه) قال: (كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنختار أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين).[(١)]

- وقال الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: (أبو بكر سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).[(٢)]

- وأخرج البخاري والترمذي عن جابر، قال: كان عمر (رضي الله عنه) يقول: أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا). "يعني بلالًا"[(٣)]

- وقال أبو الدرداء: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت على أحدٍ أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبيًّا)[(٤)]

- وأخرج الترمذي عن أنس (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عن أبي بكر وعمر: (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمُرسَلين، لا تخبرهما يا علي)[(٥)]

أُسرة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

زوجاته:

- قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك، طلقها في الجاهلية، وهي أم أولاده (عبد الله وأسماء).
- أم رومان بنت عامر بن عويمر من بني كنانة بن خزيمة، مات عنها زوجها الحارث بن سخبرة في مكة المكرمة، فتزوجها أبو بكر، وأسلمت مبكرًا، وهاجرت إلى المدينة المنورة، وهي أم أولاده (عبد الرحمن وعائشة).
- أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية "أم عبد الله" من المهاجرات الأوائل، أسلمت قبل دخول دار ابن الأرقم، وهاجرت مع زوجها "جعفر بن

(١) البخاري، ٣٦٥٥
(٢) الترمذي، ٣٦٥٦
(٣) البخاري، ٣٧٥٤ الترمذي، ٣٦٥٧
(٤) حلية الأولياء، ج ٣ ص ٣٢٥
(٥) الترمذي، ٣٦٦٤

أبي طالب" إلى الحبشة، ثم هاجرت معه إلى المدينة المنورة، وقد استشهد جعفر يوم معركة مؤتة، فتزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له (محمدًا) الذي كان يُدعى (عابد قريش) لنسكه وزهده. وقد رباه سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وترك بصماته الأخلاقية الرفيعة فيه، وقد روى عن أسماء الصحابة (كعمرو أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن العباس).

- حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري، وكانت زوجة طلحة بن عبيد، ولدت بعد وفاة أبي بكر بنتًا هي أم كلثوم[١]

أولاده:

كان له ثلاثة أولاد، وثلاث بنات: أما الأولاد فهم:

- عبد الله، شهد يوم الطائف مع النبي (ﷺ)، وجُرح فيها، ومات في الطائف أول خلافة أبيه، ولا عقب له.
- عبد الرحمن الذي قاتل مع المشركين ضد أبيه في معركة بدر، ثم أسلم قبيل فتح مكة المكرمة، وحسن إسلامه، وله عقب كثير: بدوٌ وحضر.
- محمد بن أبي بكر، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، كان يُدعى عابد قريش لزهده وشدة إيمانه، وقد وُلي أمر مصر في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقُتل هناك.

أما بناته، فهُنّ:

- أسماء بنت أبي بكر "ذات النطاقين"، وهي زوجة الزبير بن العوام، أنجبت عبد الله بن الزبير، وعاشت مائة عام، وعَميت في آخر عمرها.
- أم المؤمنين عائشة، زوجة النبي (ﷺ)، عاشت ثلاثة وستين عامًا.
- أم كلثوم، أمها أم حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري، كانت زوجة طلحة بن عبيد، ولدت بعد وفاة أبيها أبي بكر[٢]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ٢٦٥ علي الصلابي، ص ٢٦

(٢) الخضري بك، ص ١٩ الموطأ، ج ٢ ص ٧٥٢

إسلام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

كان أبو بكر الصديق ملازمًا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) قبل النبوة، فلما شرّف الله (عز وجل) محمدًا بالنبوة والرسالة، كان أبو بكر أول من أسلم واستجاب للدعوة. وقد قال – صلى الله عليه وسلم – : (ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عتمَ عنه حين ذكرته، وما تردد فيه).[١]

وقد قال ابن عباس للشعبي: ألم تسمع قولَ حسان بن ثابت في سبق أبي بكر للإسلام:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة	**فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا**
خير البرية وأتقاها وأعدلها	**بعد النبي وأوفاها بما حملا**
والثاني التالي المحمود مشهده	**وأول الناس منهم صدق الرسلا[٢]**

وهو أول من أسلم من الرجال، فقد قال: ألست أول من أسلم؟[٣] وأول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد، ومن الموالي زيد بن حارثة حبُّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد أخرج البخاري عن أبي الدرداء (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت).[٤]

وقد دعا أبو بكر أهله وأصدقاءه إلى الإسلام، فأجابه عدد كبير منهم كعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الل،ه وغيرهم، وهم السابقون للإسلام.[٥]

ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان لأبي بكر اليد الطولى في شرائهم من أسيادهم، وعتقهم ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، وكان منهم بلال بن رباح الحبشي، وعامر بن فهيرة، وغيرهم.

(١) ابن إسحق في سيرته، ١٢١

(٢) ابن كثير، ج ٤ ص ٢٥٠ ابن إسحق في السيرة، ١٢٢

(٣) الترمذي، ٣٦٦٧ ابن حبان، ٦٨٦٣

(٤) ابن إسحق، ص ١٢٥ البخاري، ٤٦٤٠

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص ٢٨٣ ابن هشام، ج ٢ ص ٦٠ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣ ص ٣٩

هجرته:

خرج أبو بكر الصديق مهاجرًا إلى الحبشة بسبب المضايقات، التي كان يقوم بها المشركون، وكي ينجو بدينه وإسلامه، لكن ابن الدغنة أعاده وحماه، وقال له: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر(رضي الله عنه): أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض؛ فأعبد الله ربي. قال ابن الدغنة: (إن مثلك لا يَخرج ولا يُخرج؛ فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضعيف، وتعين على نوائب الحق).[1] هكذا عاد أبو بكر بحماية ابن الدغنة.

الآيات القرآنية التي نزلت بشأن أبي بكر:

قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] فالصاحب المذكور إنما هو سيدنا أبو بكر الصديق.

وقال الله (عز وجل): ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[3]

وقال الله عز وجل للنبي (صلى الله عليه وسلم): ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4]

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما).

بعض الأحاديث التي وردت بفضل أبي بكر لوحده:

- أخرج أبو داوود والحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبو بكر (رضي الله عنه):

---

(١) البخاري، ٢٢٩٨ عن عائشة .

(٢) التوبة، الآية ٤٠

(٣) الليل، من الآية ١٧ – ٢١

(٤) آل عمران، ١٥٩

يا رسول الله، وددت أني كنت معك؛ حتى أنظر إليه. فقال رسول الله: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي)[١]

– وأخرج مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله: (من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه): أنا. قال: فمن منكم تبع اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال: أبو بكر (رضي الله عنه) أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه): أنا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)[٢] وأخرج الترمذي عن ابن عمر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لأبي بكر: (... أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار).

بعض الأحاديث التي وردت بفضل أبي بكر (رضي الله عنه) مع غيره:

– عن سعيد بن زيد (رضي الله عنه)، قال: أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أني سمعته، وهو يقول: (عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة.. حتى أتم باقي العشرة)[٣]

– وأخرج الترمذي وابن ماجة وأبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنّ أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجمَ الطالع في أفق السماء، وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما)[٤]

– وأخرج الترمذي والحاكم عن عبد الله بن حطب (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأى أبا بكر وعمر، فقال: (هذان السمع والبصر)[٥]

ما جاء من كلام الصحابة في فضل أبي بكر (رضي الله عنه):

– أخرج البخاري والترمذي عن جابر (رضي الله عنه) قال: كان عمر (رضي الله عنه) يقول: (أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدَنا) "يعني بلالًا"[٦]

---

(١) أبو داوود، ٤٦٥٢ الحاكم، ٤٤٤٤

(٢) صحيح مسلم، ١٠٢٨

(٣) الترمذي، ٣٧٤٨ ابن ماجه، ١٣٣

(٤) الترمذي، ٣٦٥٨ ابن ماجه، ٩٦

(٥) الترمذي، ٣٦٧١ الحاكم، ٤٤٣٢

(٦) البخاري، ٣٧٥٤ الترمذي، ٣٦٥٦

- وأخرج أحمد في فضائل الصحابة والبيهقي في شعب الإيمان عن عمر (رضي الله عنه)، قال: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض؛ لرجح بهم).[١]

- وأخرج أحمد عن عمر(رضي الله عنه)، قال: (ما استبقنا خيرًا قط، إلا سبقنا إليه أبو بكر).[٢]

- وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر(رضي الله عنه)، قال: (ثلاثة من قريش: أصبح قريش وجوهًا، وأحسنها أخلاقًا، وأثبتها جنانًا؛ إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان)[٣]

- وأخرج بن سعد عن إبراهيم النخعي، قال: (كان أبو بكر يسمَّى الأوّاه؛ لرأفته ورحمته).

- وقال الربيع بن أنس: (مكتوب في الكتاب الأول: مثل أبي بكر الصديق مثل القطر؛ أينما وقع نفع).

- وأخرج أحمد في فضائل الصحابة عن أبي حصين، قال: (ما ولد لآدم بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر)[٤]

- وأخرج الحاكم عن بن المسيب، قال: (كان أبو بكر من النبي (صلى الله عليه وسلم) مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقدم أحدًا عليه).[٥]

---

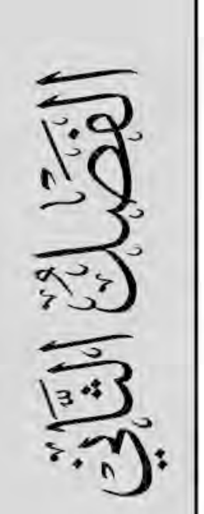
(١) فضائل الصحابة، ٦٥٣ البيهقي في شعب الإيمان، ص ٣٦

(٢) أحمد، ج ١ ص ٣٨ الطبراني في الكبير، ج ٩ ص ٧١

(٣) الطبراني في الكبير، ج ١ ص ٥٦ الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩ ص ١٥٧

(٤) فضائل الصحابة، ٥٩٨

(٥) المستدرك، ٤٤٠٨



- الأنظمة السياسية التي عرفها العرب قبل نظام الخلافة الإسلامية.
- حكومة النبي (ﷺ) في المدينة المنورة.
- مصطلح الخلافة في القرآن الكريم، وفي اللغة العربية.
- استخدام مصطلح الخلافة لأول مرة في السياسة.

الفصل الثاني

الأنظمة السياسية التي عرفها العرب قبل نظام الخلافة الإسلامية

عرف العرب قبل الإسلام نظامَ الحكم الملكي الوراثي، وذلك في عهد "حمورابي" الذي حكم العراق (بلاد الرافدين)، وكان بين العرش الملكي وعامة الشعب طبقة من كبار الملاكين، والتجار، والأغنياء الذين يدعمون الملك، ويقفون معه ضد تطلعات العامة. وعرفَ العربُ النظام الملكي في شمال الحجاز المجاور للشام والعراق، وعرفوه في اليمن؛ عندما قامت مملكة سبأ التي حكمتها الملكة (بلقيس) وأحاطت عرشها بمجلس من الأشراف، وهم من الأسر الأرستقراطية[١]، وعرفوا النظام القبلي، ففي وسط شبه الجزيرة والحجاز حيث البداوة؛ كان يتم اختيار شيخ القبيلة حسب شروط ومواصفات، من أبرزها:

١ - عراقة قبيلة المرشح لرئاسة القبيلة.

٢ - وجود مجلس استشاري من عقلاء وحكماء القبيلة؛ ليساعدوا شيخها في القيام بمهام السلطة الموكلة إليه. وهؤلاء الأعضاء يجب أن يكونوا من الأشراف وأصحاب النفوذ الحربي والتجاري والديني، ومن إحدى بطون قريش العشرة، وهي:

(بني هاشم - بني أمية - بني نوفل - بني عبد الدار - بني أسد - تيم - مخزوم - عدي - جمح - بني سهم)[٢]

وقد كانت دار الندوة مقرًّا لمجلس القبيلة، وفيه تُتخذ القرارات الهامة كقرار إعلان الحرب، أو قبول الصلح والسلام. وفيه تحل المشاكل التي تعرض على المجلس

(١) د.محمد عمارة – موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٢٩٥

(٢) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ج ٣ ص ٦٣٥

من أفراد القبيلة، أو من غيرهم. ففي هذا المجتمع القبلي كانت السيادة لرئيس القبيلة ولمجلسه الاستشاري، أما المجتمعات التي كانت تعيش حياة الاستقرار والمدنية فكان الحكم فيها بيد الملك أو الملكة، كما هو الحال في بلاد فارس؛ حيث كانت الملكية تدعو لسطوته وجبروته، وفيها ثلاثُ دعائم يستند عليها الحكم والحاكم:

- **الأولى:** أن الملك يستند على عقيدة الحق الإلهي المقدس، لذلك كل قراراته وأحكامه من وحي الإله (أهورا مزدا).

- **الثانية:** الجيش، وهو من أهم المؤسسات في المملكة، وكان الملك رئيسًا وقائدًا لهذا الجيش، وهو مؤسسه. وقد لقب أوخشتيرا أي المحارب، وكان يساعده قادة فرق هذا الجيش.

- **الثالثة:** النظام الطبقي، وعلى رأسه طبقة ملك الملوك، وهي من الأشراف المكونة من ملوك الأقاليم ومن الأسر والعائلات القوية ذات النفوذ القوي، ومن طبقة النبلاء، وكبار موظفي المملكة والأقاليم، ومن ملاكي العقارات، ومدراء الإدارات في الأرياف، ثم من الدهّاقين، ورجال الدين، وموظفي المراسم الدينية.

فهي بذلك دولة إقطاع حربي، تدعمها السلطة الإلهية. وهناك تشابهٌ بين نظام الحكم عند الفرس ونظام الحكم عند الروم؛ لأن الروم قبل المسيحية حكموا حكمًا أوتوقراطيًّا، وبعد ظهور المسيحية وانتشارها أصبح نظام الحكم فوق مستوى البشر؛ لأن الملك أصبح إلهًا، أو بمرتبة الإله يسجد له الأفراد عندما يقتربون من عرشه لمقابلته.

وقد اختلفت دولة الخلافة الراشدة الإسلامية عن الدول والممالك التي حولها في شكل ومضمون الدولة والسلطان فهي ليست ملكية ولا قبلية ولا حكومةأشراف بمقياس السمو والشرف لذلك اختلفت في غاياتها وأهدافها عن دولة الأكاسرة الساسانيين في بلاد فارس وعن دولة القياصرة البيزنطيين في روما وما حولها.[١]

حكومة النبي (ﷺ) في المدينة المنورة (يثرب)

عندما جاء النبي(ﷺ) برسالة الإسلام، نجح في إحلال العقيدة الدينية (الإسلام) بدل العصبية القبلية. وعندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة (يثرب) شكَّل أول حكومة إسلامية تميزت بوجود السلطات الثلاثة: التنفيذية، والقضائية، والتشريعية.

(١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ج ٣ ص ٦٣٧



١ - السلطة التنفيذية

كان النبي (ﷺ) على رأس السلطة التنفيذية، فهو الذي يقود الغزوات، ويبعث السرايا، ويوزع الغنائم، ويعين الأمراء على الجيش، ويستقبل الوفود والمبعوثين، ويجيب على أسئلة الناس بكل أنواعها. وكان يساعده مجلس استشاري في الأمور الدنيوية من ذوي الحكمة ورجاحة العقل من المسلمين.

٢ - السلطة القضائية

ظهرت السلطة القضائية؛ لأن المجتمع لا يخلو من المشاكل والخلافات، فكان النبي (ﷺ) يحكم بين المتخاصمين في المسجد حسب نصوص القرآن الكريم. وكان حكمه ملزمًا للطرفين المتخاصمين، وهو حكم نافذ غير قابل للطعن؛ لأن القرآن الكريم هو مصدر الحكم والتشريع، وفيه الحلول الناجعة لكل مشكلة أو خلاف.

٣ - السلطة التشريعية

هي المصدر الرئيسي للتشريع المستوحى من كتاب الله (القرآن الكريم) ومن السنة النبوية الشريفة، التي تمثلت بأقوال وأفعال وأحاديث النبي (ﷺ). وبذلك كان النبي (ﷺ) يمثل السلطتين الدينية والمدنية معًا في المدينة المنورة، أما في مكة المكرمة وبعد اتساع جبهة الفتوحات الإسلامية، فقد ظهرت الإدارة المركزية، واتسع المجلس الاستشاري للنبي(ﷺ) ليضم عددًا من الكُتّاب والمستشارين من كبار الصحابة. وقد أرسل الأمراء والولاة (العمال) إلى المناطق التي دخل أهلها في الإسلام، ولم يترك النبي (ﷺ) نصًّا صريحًا لمسألة تداول الحكم (الخلافة). وكأن الله (ﷻ) أرادها شورى واجتهادًا بعد وفاة النبي محمد(ﷺ)[١]

مصطلح الخلافة في القرآن الكريم

ورد مصطلح الخلافة في القرآن الكريم في عدة مواضع وبمعانٍ متنوعة، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[٢] والمراد بالخلافة هنا النبوة، أو الخلافة لمن سبقه في ملك بني إسرائيل. إذًا هو ملك. لكنّ أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) لم يكن ملكًا ولا نبيًّا، بل هو خليفة لرسول الله (ﷺ).

وقال الله (ﷻ) أيضًا ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[٣] هنا الله (ﷻ) يستخلف الناس في الأرض كما استخلف من سبقهم من أقوام أخرى.

(١) الماوردي- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١١٥ - على حسني الخربوطلي، الدولة العربية الإسلامية ص ٦٢ - عبد الحكيم الكعبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٢٤ - حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية ص ٣

(٢) ص، الآية ٢٦

(٣) النور، آية ١٥٥

وقال الله (ﷻ) أيضًا ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١)
وقال ﷻ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾(٢)
وقال الله (ﷻ) ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾(٣)
فهنا الخلافة وظيفة عامة لبني البشر، وليست منصبًا سياسيًّا استخدمته الأمم السابقة.

الخلافة في اللغة العربية

هي من خلف، والخليفة الذي يُستخلف ممن قبله، ومن يقوم مقام الذاهب ويسد مكانه، وخلف فلان فلانًا إذا أصبح خليفته(٤)

استخدام مصطلح الخلافة لأول مرة عند العرب المسلمين (كنظام للحكم)

ظهر مصطلح الخلافة بمسماه الرسمي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويعني (وجوب وجود إمام يخلف النبي (ﷺ) في حمل الكافة على اتّباع الدين الإسلامي؛ ليقف كل إنسان عند حده، ويتساوى القوي والضعيف، والشريف والوضيع أمام الحق، فالإمام خليفة لرسول الله (ﷺ) في حراسة الإسلام وسياسة الدنيا).(٥) بمعنى أن الخليفة لا يعدو أن يكون رئيسًا دينيًّا وسياسيًّا نيابة عن رسول الله (ﷺ) يجمع بين سلطتين: سلطة دينية باعتباره إمامًا للمسلمين يؤمهم في الصلاة، ويسهر على تطبيق العدالة وتحقيق الإنصاف، ويحمي الدين الإسلامي، ويذب عنه المخاطر، وسلطة دنيوية لأنه ينظر في مصالح المسلمين الدنيوية.

والخلافة على حد قول ابن خلدون، هي: (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرائع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشريعة في حراسة الدين

---

(١) الأعراف، آية ١٢٩

(٢) الأنعام، الآية ١٦٥

(٣) الأنعام، آية ١٣٣

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ص ٩

(٥) ابن خلدون، المقدمة ص ٣٣٨– د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية ص ١٤٩ د. محمد الخضري بك– إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص ٩

وسياسة الدنيا، وللخليفة على هذا النحو الطاعة التامة على جميع المسلمين في دينهم ودنياهم، والخلافة نظام مستحدَث حتّمته الظروف بعد وفاة النبي (ﷺ) دون أن يعين للمسلمين خليفة لهم أو يترك نصًّا صريحًا يشير لخلافة أبي بكر الصديق ولا لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)[١] هكذا أراد الله أن يترك الأمر شورى؛ جريًا على ما كان يحدث في النظام القبلي الذي ألفه العرب، خاصة أن النبي (ﷺ) لم يخلف ولدًا يستخلفه من بعده[٢]

فالخلافة هي النيابة عن صاحب الأمر في غيابه إذا وكله، أو الحلول بدلًا عنه في الشورى والاتفاق، فهي خلافة في مواضع الغياب والموت والعجز المفاجئ، لذلك قال موسى – عليه السلام – لأخيه هارون: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي).

وعرفت الخلافة بالولاية العامة على الأمة، وقد قال الله (عز وجل) في حق آدم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾[٣] فآدم – ﷺ – أول من عمّر الأرض، وخلفه أولادُه من بعده، لذلك خوطب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بخليفة رسول الله (ﷺ) ولم يقبل أن يكون خليفة لله (عز وجل)؛ لأن الخلافة عن الغائب، والله حاضر لا يغيب، وحي لا يموت.

والخلافة للنبي (ﷺ) هي نيابة عن صاحب الشريعة – وهو الله تعالى – في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة الإسلامية واجبٌ بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم من المعتزلة الذين قالوا بالاستغناء عنه إذا صلحت الأمة.. وهذا بعد عن الملك ومذاهبه، فالخلافة أصبحت نظامَ حكمٍ عربي إسلامي مبتكرًا، فرضته الظروف بعد وفاة النبي محمد (ﷺ)[٤]

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ ص ٣٠٢

(٢) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٥ ص ٢٥٠

(٣) الأعراف، الآية ١٤٢

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٦

الفصل الثالث

- اجتماع السقيفة.
- ١. المرحلة الأولى: آراء ومواقف.
- ٢. المرحلة الثانية: حسم الخلافة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- شروط الخلافة.
- واجبات الخليفة.

الفصل الثالث
اجتماع السقيفة

المرحلة الأولى: آراء ومواقف

رأي الأنصار سكان المدينة المنورة

بعد وفاة النبي (ﷺ) اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخذوا يتناقشون حول الشخصية التي يجب أن تتولى أمور المسلمين بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) وقد طرحوا أفكارًا متنوعة، منها:

١ - ترك الأمر للأمة الإسلامية؛ لتختار من تشاء لهذا الأمر، على أن يكون المرشح قادرًا على حراسة الدين الإسلامي، وسياسة أمور المسلمين الدنيوية.

٢ - لا فرق في ذلك بين أن يكون المرشح من قريش أو من غيرها. وقد اعتمدوا في ذلك على حديث النبي (ﷺ) (اسمعوا وأطيعوا، وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة).[١]

٣ - أن يختاروا سعد بن عبادة سيد الخزرج لهذا المنصب، معتمدين في ذلك على ما يلي:

أ - أنهم من السابقين في الإسلام.

ب - أنهم نصروا رسول الله (ﷺ) وأصحابه.

ج- هم الذين أمّنوا للمهاجرين الحماية والإيواء (فهم أهل الإيواء)؛ لأن الهجرة كانت إليهم حسب قول (الخباب بن المنذر بن الجموح).[٢]

د - ما أوضحه (سعد بن عبادة) في كلمته التي قالها عندما أُحضر وهو مريض إلى السقيفة مخاطبًا ابنه، أو ابن عمه: (إني لا أقدر لشكواي من مرضي أن أُسمع القوم كلهم كلامي، فتلق عني وأسمعهم)، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري، ج ٩ ص ٧٨

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٨ الطبري، ج ٣ ص ٢١٨ ابن ماجه، ص ٢٨٦٠ أحمد بن حنبل في المسند، ج ٣ ص ١١٤ البيهقي، ج ٨ ص ١٥٥

(يا معشر الأنصار، إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، أن محمدًا (ﷺ) لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل من الرجال. والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله (ﷺ) ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيمًا عُموا به، حتى أراد الله بكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله (ﷺ) والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد ضد أعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه، وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله تعالى طوعًا وكرهًا، وأعطى البعيد المَقَادة صاغرًا داخرًا حتى أثخن الله (عز وجل) لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو راضٍ عنكم، وبكم كان قرير العين، فاستبدوا بهذا الأمر؛ فإنه لكم دون الناس)[١] فأجابوه جميعًا بأنه أصاب في القول، ووفق في الرأي، وأطلعوه على رغبتهم في مبايعته بالإجماع.

رأي المهاجرين

كان بين المهاجرين أسد بن حضير من بني الأشهل، فقالوا بوجوب أن تكون الخلافة لرجل من قريش حصرًا، وقد أخذ برأيهم عامة الحضور، وحجتهم في ذلك:

١ - ما رواه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) (الأئمة من قريش)[٢] فالنبي (ﷺ) يعلم أن قريشًا - بعصبيتها - تستطيع حماية المسلمين وحلّ خلافاتهم ولمّ شملهم؛ لأن لها العزة والجاه والشرف والسيادة على سائر مضر، وهذا اعترفت به سائر العرب.

٢ - لأن المهاجرين (قريش) قد خصهم الله (عز وجل) بتصديق رسالة نبيه محمد (ﷺ) والإيمان به والصبر معه على الشدة وذل القوم لهم وكثرة البلاء، ولم ينظروا لقلة عددهم، أو إجماع القوم عليهم.

٣ - لأنهم أولياء النبي (ﷺ) وعشيرته؛ فهم أحق الناس من بعده بالخلافة[٣]

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٩ الطبري، ج ٣ ص ٢١٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٢٨

(٢) أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٩٩

(٣) ابن قتيبة، ص ٩ الطبري، ج ٣ ص ٣٠٩

رأي بنو هاشم

قالوا بأن الخلافة يجب أن تكون لبني هاشم، ورشحوا لها عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وحجتهم في ذلك، ما يلي:

١ - أنهم قرابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

٢ - ولأن والد سيدنا علي (رضي الله عنه) هو عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد حماه عندما اضطهدته قريش.

٣ - لأن عليًّا (رضي الله عنه) زوج ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاطمة الزهراء، التي أنجبت الحسن والحسين (رضي الله عنهما).

٤ - كان علي (رضي الله عنه) بمقام الأخ للنبي (صلى الله عليه وسلم) لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) له عندما خلفه علي (رضي الله عنه) في أهله في غزوة تبوك (أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي).[١]

٥ - علي (رضي الله عنه) أول من أسلم وآمن من الصبيان.

٦ - شجاعة علي (رضي الله عنه) وفروسيته.

كلُّ هذه الأسباب والصفات كانت مبررًا لأن يتقدم العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى علي (رضي الله عنه)، ويطلب منه أن يمد يده ليبايعوه، لكنّ عليًّا (رضي الله عنه) لم يستجب لهذا الطلب؛ متحسبًا من أمرين:

١ - حتى لا يُفسَّر الأمر بأن الخلافة وراثية، لاسيما أنه لم يردْ نصٌّ في القرآن الكريم أو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) يشير إليه.

٢ - لاعتقاده بأن المسلمين سَيُجمعون عليه للأسباب التي ذُكرت، فلا داعي للعجلة؛ لذلك قال لعمه: (مهلًا يا عم، ومن يطلب هذا الأمر غيرنا)[٢]

المرحلة الثانية من اجتماع السقيفة

١ - الحوار بين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) والأنصار:

عندما علم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، سار إليهم مسرعًا ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (أمين الأمة) (رضي الله عنهما)، وقد التقيا وهم في

---

(١) ابن سعد، الطبقات ج ٣ ص ٢٤ - أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٧٣ البيهقي، ج ٩ ص ٤٠ البخاري، ج ٥ ص ٤٢ مسلم في فضائل الصحابة ٣٢ الترمذي، ص ٣٧٢٤

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٢

الطريق برجلَيْن، فقالا لهما: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قالوا: نريد إخواننا من الأنصار، فأرشدوهم إلى مكانهم، وأوضحوا لهم ما تم تداولوه من الأفكار بشأن الخلافة بعد وفاة رسول الله (ﷺ). وعندما وصلوا إلى السقيفة، وجدوا رجلًا مزملًا بين ظهرانيهم، فقالوا: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عبادة الخزرجي، وقد أحضروه، وهو مريض، وهؤلاء جماعته من أشراف الأنصار، فسلموا وجلسوا قليلًا، فنهض خطيب الأنصار وتشهّد، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفَت دفة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يبعدونا عن الأمر).

فلما سكت، أراد عمر بن الخطاب الكلامَ؛ فقال له أبو بكر: على رسلك يا عمر. فقال عمر: (كرهت أن أغضبه) وتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني من مقالتي التي كنت سأقولها إلا قال في بديهيته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت)[(١)]

فماذا قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)؟

قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إن الله (عز وجل) بعث محمدًا (ﷺ) بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله (عز وجل) بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه، فكنا معشر المهاجرين أولَ الناس إسلامًا، والناس لنا فيه تُبَّع، وما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل. ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة، وأنتم أيضًا والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله (ﷺ)، وأنتم إخواننا في كتاب الله (عز وجل)، وشركاؤنا في دينه (عز وجل)، وفيما كنا من سراء وضراء، والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه، فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله (عز وجل)، والتسليم لأمره (عز وجل)، لما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين (رضي الله عنهم)، فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسكم حين الخصاصة. والله ما زلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن لا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد أن تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله (عز وجل) إليهم، فإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح

(١) رواه البخاري، ص ٦٨٣٠

أو عمر بن الخطاب، وكلاهما رضيت لكم، وكلاهما له أهل[1] فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وطالب بأحقية أبي بكر(رضي الله عنه) في الخلافة، وذكّرهم بأنّ أبا بكر (رضي الله عنه) صاحب الغار، وثاني اثنين، وبأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخلفه في الصلاة بالمسلمين مُقدِّمُه على سائر الصحابة[2]، لكن الأنصار كان لهم رأي آخر.

رأي الأنصار:

اقترحوا أن يتولى أمور المسلمين اثنان: واحد بعد الآخر، أحدهما من المهاجرين، والآخر من الأنصار، وتستمر هذه المهمة (الخلافة) محصورة بينهما على التعاقب، لكن هذا الرأي لم يلقَ قبولًا من المهاجرين.

رد أبي بكر (رضي الله عنه)

تكلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأبرز دور المهاجرين في تمكين الدعوة الإسلامية، وصبرهم على الشدائد والاضطهاد، ووضع الأنصار في منزلة تلي المهاجرين؛ لأنهم نصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه على الكافرين من أهله وذويه، وإذا جاز للمهاجرين أن يكونوا أمراء فلا بدّ أن يكون الأنصار لهم وزراء لا يقطعون بأمرٍ دون مشورتهم[3]

رد الأنصار:

لم ينلْ هذا الرأي استحسانَ الأنصار فوقف (الحباب بن المنذر بن الجموح)، وقال: (يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، وأنتم أهل العز والثروة، وأولوا العدد والمنعة والتجربة، وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، فلا تختلفوا؛ فيفسد عليكم رأيكم، وينتقص عليكم أمركم، فإن أَبَى هؤلاء إلا ما سمعتم؛ فمنّا أميرٌ، ومنهم أمير).

رد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

وقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال: (هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن!! أي أن السيفين لا يمكن أن يجتمعا في غمدٍ واحد، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم وبينها

---

(١) ابن قتيبة، ص ٨ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٩

(٢) ابن قتيبة، ص ٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣٠

(٣) ابن قتيبة، ص ١١ الطبري، ج ٣ ٢٢٠ - ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٨

من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المُبين، من ذا ينازعنا السلطان الذي كان لمحمد (ﷺ) في إمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٌّ بباطل أو متجانف لإثم، ومتورط في هلكة؟![1] ثم قال: (ألستم تعلمون أن رسول الله (ﷺ) قد أمر أبا بكر (رضي الله عنه) أن يصلي بالناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر) قالوا: (نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر)[2]

رد الأنصار، والبيعة الخاصة:

نهض (الحباب بن المنذر) مرة ثانية، وقال:

(يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا هذه المقالة، فيذهب نصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوْا عليكم ما سألتموه؛ اجْلوهم من البلاد، وتولوا عليهم هذا الأمر؛ فأنتم - والله - أحق به منهم، فإنه بأسيافكم دانَ لهذا الدين مَن دان.. أنا جذيلها المحنك، وعذيقها المرحب، فإن شئتم لنعيدها جذعة (أي: فتية).

فقال أبو عبيدة: (يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغيّر).

فقام بشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير) وقيس بن سعد الخزرجي مؤيدين لما قاله أبو عبيدة، فقال بشير: (يا معشر الأنصار، إنا - والله - لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضًا، فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا إن محمدًا (ﷺ) من قريش، وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا؛ فاتقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.[3]

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): (هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا؟ فقال أبو عبيدة وعمر: (لا والله، لا نتولى هذا الأمر عليك؛ فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٠

(٢) النسائي ج١ ص ٣٩٦ الحاكم، ص ٤٤٣٣

(٣) ابن قتيبة، ص ١١ الطبري، ج ٣ ص ٢٢٢

هما في الغار، وخليفة رسول الله (ﷺ) في الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك نبايعك). فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه ولم يطع (الحباب بن المنذر الجموح)، وقال له: (لقد بايعت؛ لأني كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم).

فقال (الحباب بن المنذر): (فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله كأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم، ولا يسقون الماء).

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): (أمنّا تخاف يا حباب؟) قال: (ليس منك أخاف، ولكن ممن يجيء بعدك) قال أبو بكر (رضي الله عنه): (فإذا كان ذلك كذلك إليك وإلى أصحابك، ليس لنا عليكم طاعة)، قال الحباب: (هيهات يا أبا بكر، إذا ذهبت أنت وأنا جاءنا بعدك من يسومنا الضيم)[١]

ولما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة؛ قال بعضهم (أسيد بن حضير) وهو أحد النقباء: (والله، لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معها فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر)، فقاموا إليه وبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا عليه من أمرهم، ورحل سعد إلى الشام، ومات فيها.[٢]

ثم أقبلت قبيلة (أسلم) وبايعت أبا بكر (رضي الله عنه) فقال عمر بن الخطاب: (ما هو إلا أن رأيت أسلم بايعت؛ فأيقنت بالنصر)[٣] كانت هذه البيعة الخاصة، وتمت في سقيفة بني ساعدة.

أما البيعة العامة، فتمت في اليوم التالي، وصادف يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة للهجرة[٤] وكان ذلك في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة. عندها قام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فحمد الله وأثنى عليه، ثم طلب من المسلمين مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فبايعوه، وكانت هذه البيعة العامة.[٥]

---

(١) ابن هشام، ج ٥ ص ٣٢٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣١

(٣) ابن هشام، ج ٥ ص ٣٢٨ « كان الخزرج قد فقدوا زعيمهم سعد بن معاذ قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)

(٤) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٦٣

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٢

وقد قال عمر بن الخطاب بعد البيعة: (إنا والله ما وجدنا فيما حضر من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، فقد خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلًا منهم، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما خالفناهم فيكن فساد)[1] هكذا تمت البيعة العامة بعد حوار ساخن كاد يعصف بروابط الأخوة الإسلامية، لكنه أسفر عن تبلور الآراء، وتوحيد المواقف والأفكار، وأكد سيادة القيم وإحقاق الحق، وأدى لانفراج الأزمة التي تُوجت بالاتفاق على خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) على النحو الذي كان مألوفًا عند العرب في الجاهلية عندما كانوا يختارون شيوخ قبائلهم. وقد تم اختيار أبي بكر (رضي الله عنه) لأنه يتمتع بمزايا حميدة، منها:

١ - سبقه إلى الإسلام.
٢ - تصديقه للنبي (صلى الله عليه وسلم) في كل ما قاله أو فعله.
٣ - انتماؤه لقبيلة قريش.
٤ - لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) فوضه بإمامة المسلمين في الصلاة عندما اشتد عليه مرضه.
٥ - ولأن أبا بكر (رضي الله عنه) ثاني اثنين إذ هما في الغار.
٦ - ولأنه والد السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم).
٧ - ولأنه لازم النبي (صلى الله عليه وسلم) في حلّه وترحاله.
٨ - ولا شك أنّ سِن أبي بكر التي قاربت الستين عامًا كان لها احترامها وتقديرها عند العرب.
٩ - وهو من الرجال الذين لهم كلّ الاحترام في الجاهلية والإسلام، وسيرته الذاتية تؤهله لهذه المكانة.

ولما تمت مبايعة أبي بكر (رضي الله عنه) من قِبل المهاجرين والأنصار، صعد أبو بكر (رضي الله عنه) إلى المنبر، وقال بعد أن حمد الله (عز وجل) وأثنى عليه: (أيها الناس، قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله (عز وجل)، لا يدع أحدٌ منكم الجهاد؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم؛ يرحمكم الله).[2]

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٠

(٢) ابن هشام، ج ٤ ص ٣١١ الطبري، ج ٣ ص ٢٣٠ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣٢ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ص ٢٤٨ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥

وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: خطب أبو بكر فقال: (والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت راغبًا فيها، ولا سألتها الله في سرٍّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، لقد قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله (عز وجل) لي.

فقال علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام: (ما غضبنا إلا لأننا أُخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها، إنه لصاحب الغار، ونعرف خيره وشرفه، ولقد أمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصلاة في الناس، وهو حي).[1]

موقف علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وبني هاشم بعد مبايعة الناس لأبي بكر (رضي الله عنه)

امتنع علي (كرم الله وجهه) وجماعته من بني هاشم ومعهم الزبير بن العوام عن بيعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وتجمعوا في دار السيدة فاطمة (رضي الله عنها) فخرج إليهم عمر بن الخطاب مع بعض الصحابة، وحاورهم، وتم الاتفاق معهم (بني هاشم والزبير) على مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[2]

أما علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فلم يبايع أبا بكر إلا بعد فترة اختلف المؤرخون في مدتها، وقد انحصرت المدة بين أربعين يومًا وستة أشهر، والأرجح أنها ستة أشهر - بإجماع المؤرخين العرب - وهذا بعد وفاة السيدة فاطمة (رضي الله عنها)[3]

وقد كان لسيدنا علي بن أبي طالب أسبابُه، التي أجلت بيعته لأبي بكر منها:

١ - اعتبر أن أبا بكر قد اغتصب الخلافة منه؛ لأنه قال للأنصار: (لا بد أن تحصر الخلافة في عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال علي: (أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، وقد أخذتم هذا الحق من الأنصار بحجة القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وها أنتم تأخذوه من أهل البيت غصبًا، ألستم من قال للأنصار إنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) منكم فأعطوكم القيادة، وسلّموا إليكم الإمارة، فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار.

---

(١) ابن كثير، ج ٥ ص ٢٥٠

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٤

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٢ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٢٦ ابن الأثير، ج ٢ ٣٢٥ ابن كثير، ج ٥ ص ٢٨٥

٢ - نحن أولى برسول الله (ﷺ) حيًّا وميتًا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون).

وقد بكت فاطمة (رضي الله عنها)، وأظهرت عدم رضاها عما فعل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، مما لم يحسم موقف علي (كرم الله وجهه) نهائيًّا بالبيعة. وظل حتى وفاة السيدة فاطمة (رضي الله عنها).

لكن عليًّا (كرم الله وجهه) رغم اعتراضه وعدم مبايعته لأبي بكر (رضي الله عنه) لم يترك أي أثر سيء، ولم يضع أي عقبات في طريق بيعة أبي بكر (رضي الله عنه)، والدليل على ذلك:

١ - أن سيدنا عليًّا (كرم الله وجهه) لم يقبل بمبايعة فريق من الناس له شخصيًّا، وذلك حتى يمنع الفتنة والانقسام.

٢ - لأنه كان يُقدّر أبا بكر (رضي الله عنه) تقديرًا فائقًا لمزاياه الحميدة.

٣ - لم يقبل عرض أبي سفيان الذي مدَّ يد العون له ضد أبي بكر (رضي الله عنه)، وقال له: (والله، إنك ما أردت بهذا العرض إلا الفتنة، وإنك - والله - طالما بغيت للإسلام شرًّا، لا حاجة لنا في مساعدتك، ولا نصيحتك)[١] وقال أيضًا: (إنا وجدنا أبا بكر أهلاً لها).[٢]

وكان قد رفض الشعر التحريضي الذي قاله عتبة بن أبي لهب بعد أن سمعه منه، فزجره ونهاه عن ذلك. والشعر هو:

من أول الناس إيمانًا وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهدًا بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

الآيات القرآنية التي تشير إلى خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

١ - أخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] قال:

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٦

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥

(٣) المائدة، الآية ٥٤ تفسير ابن جرير

والله هم أبو بكر وأصحابه. ولما ارتدت العرب؛ قاتلهم أبو بكر وأصحابه حتى عادوا للإسلام.

٢ - أخرج الخطيب البغدادي عن أبي بكر بن عياش، أنه قال: أبو بكر الصديق خليفة الله في القرآن؛ لأن الله (عز وجل) قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١] فمن سماه الله (عز وجل) صادقًا فليس يكذب، وهم قالوا يا خليفة رسول الله)[٢]

٣ - قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣]

٤ - وقال أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾[٤]

٥ - وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]

الأحاديث التي تشير إلى خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

١ - أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، عن حذيفة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)[٦]

٢ - وفي الصحيحين، عن ابن سعيد الخدري، قال: خطب النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: (إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده؛ فاختار ما عند الله). فبكى أبو بكر (رضي الله عنه).

---

(١) الحشر، الآية ٨

(٢) تاريخ البغدادي، ج ١٤ ص ٣٩٦

(٣) الفتح، الآية ١٦

(٤) الحديد، الآية ١٩

(٥) النور، الآية ٥٥

(٦) أحمد، ج ٥ ص ٣٨٢ الترمذي، ٣٦٦٢ ابن ماجه، ص ٩٧ الحاكم، ٤٤٥٥

٣ – وقال النبي (ﷺ): (لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)، وهذه إشارة إلى الخلافة؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين.(١)

٤ – أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة للنبي (ﷺ) فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال(ﷺ): (إن لم تجديني؛ فأْتي أبا بكر).(٢)

٥ – وعن أنس (رضي الله عنه) قال: (بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله (ﷺ) أن أسأله.. إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟) فأتيته وسألته، فقال: (إلى أبي بكر).(٣)

٦ – وأخرج مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: (ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك؛ حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى! ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).(٤)

٧ – أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري، أنه قال: مرض رسول الله (ﷺ) فاشتد مرضه، فقال: (أمّروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ رقيق، متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. فقال: مُري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحبُ يوسف). قالت: فصلى بهم أبو بكر في حياة النبي (ﷺ).(٥)
قال العلماء: إن هذا الحديث دلالة على أن أبا بكر الصديق أحقُّ الصحابة، وأولاهم في الإمامة والخلافة.(٦)

٨ – أخرج أبو القاسم البغوي بسندٍ حسن، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلًا).

(١) البخاري، ٣٩٠٤ مسلم، ٢٣٨٢ السيوطي، ص ٨٥

(٢) البخاري، ٣٦٥٩ مسلم، ٢٣٨٦

(٣) حلية الأولياء، ج ٨ ص ٣٥٨ الحاكم، ٤٤٦٠

(٤) مسلم، ٢٣٨٧

(٥) البخاري، ٦٧٨ مسلم، ص ٤٢٠

(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٨

٩ - وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): (سدّوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب أبي بكر).[١]

١٠ - وأخرج الطبراني عن ابن عمر، قال: (لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله (ﷺ)على المنبر حتى لقي الله، ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله، ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله)[٢] قلت: وهذا إنما فعله أبو بكر تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وفعله عمر تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وأبي بكر، وفعله عثمان تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهم) أجمعين.

هكذا يكون الأدب والتواضع والاحترام، فهم خلفاء استحقوا المنصب بجدارة واقتدار؛ لأنهم تعلموا وتخرجوا من مدرسة سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ).

١١ - وهذا حسان بن ثابت يشيد بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة — فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها — إلا النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده — وأول الناس منهم صدق الرُّسلا[٣]

فما هي واجبات الخليفة؟

١ - حفظ الدين الإسلامي على أصوله المستقرة وعلى ما أجمع عليه السلف الصالح في الأمة الإسلامية.

٢ - تنفيذ الأحكام التي تصدر عن القضاء على المتخاصمين؛ حتى يعم العدل، وتطبق حدود الشريعة الإسلامية.

٣ - حماية طرق المواصلات، وذلك يتم بمكافحة اللصوص وقطاع الطرق.

٤ - الاهتمام بالثغور وتحصينها بما يلزم من إمكانيات مادية وبشرية.

٥ - قيادة حركة الجهاد؛ لنشر الإسلام ولتثبيته والدفاع عنه.

---

(١) السيوطي، ص ٥٩

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ص ٢٥١ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٤

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٠

٦ - الإشراف على جباية الأموال المستحقة للدولة الإسلامية، حسب نصوص الشريعة الإسلامية.

٧ - توزيع أموال بيت مال المسلمين بعدالة، حسب نصوص الشريعة الإسلامية، ورعاية المحتاجين من فقراء المسلمين.

٨ - تعيين الكفاءات النزيهة والثقة في المناصب والمهام، كل حسب اختصاصه ومعرفته.

٩ - الإشراف على تسيير أمور الدولة بشكل مباشر، أو من خلال الولاة والقادة[١]

شروط تولي الخلافة

وقد أورد ابن خلدون في المقدمة أنه اشترط في الخليفة، ما يلي:

أ - العلم بالقرآن والسنة النبوية والأحكام الدينية؛ لأن ذلك يؤدي للاجتهاد الصحيح. والعلم منفذ لمعرفة أحكام الله ﷻ، فمتى كان الخليفة جاهلًا بها؛ لا يمكنه تنفيذها.

ب - العدالة؛ لأن الإمامة منصب ديني ينظر في كافة الأحكام التي يشترط فيها العدالة، فالأولى أن يكون هو عادلًا.

ج - الكفاية، أي أن يكون شجاعًا وقادرًا على إقامة الحدود، وخوض المعارك والحروب، وبصيرًا بها، وعنده القدرة على حمل الناس للمشاركة بها، ولديه دهاء سياسي وقوة فكر؛ ليتمكن من حماية الدين، وتدبير مصالح الرعية.

د - سلامة الحواس والأعضاء؛ لأن ضعفها أو فقدانها يؤدي للعجز عن التصرف السليم والحكم السديد[٢]

وقد أضاف بعض المؤرخين:

هـ- سلامة الرأي والفكر، وسرعة البديهة؛ لأن ذلك يؤدي إلى سلامة الرعية مع استقلال الرأي وموضوعيته التامة.

و - أن يكون مسلمًا عاقلًا قد بلغ سن الرجولة.

---

(١) الماوردي، ص ١٦

(٢) الخضري بك، إتمام الوفاء، ص ١٢

ز - النجدة لحماية البلاد إذا تعرضت لخطر، ومجاهدة الأعداء.

ح - النسب القرشي لازم لهذا المنصب؛ لتوفر كثير من الصفات المطلوبة فيه[1]

وأكد ابن خلدون على أنه إذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لها من العصبية القبلية والغلبة، وعلمنا أن المشرع لا يخص الأحكام بجيل ولا بعصر ولا بأمة؛ علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية، فاشتراطنا في القائم بأمور المسلمين (أن يكون من قوم أولي عصبة قوية غالبة على من معها في عصرها ليستتبعوا سواهم).[2]

ويؤكد الماوردي على شرط النسب القرشي (لورود النص فيه، وانعقاد الإجماع عليه)[3] باعتباره أساس العصبية التي تكون بها الحماية، وبها يرفع الخلاف، وتنتهي الفرقة والانقسام. فإن توفرت لصاحب المنصب تسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها. وقريش كانت عصبية مضر وأهلها، وأهل الغلبة منهم، وكان لهم على سائر مضر العزةُ بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جُعل الأمر في سواهم؛ لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من القبائل المضرية أن يردهم عند الخلاف، ولا يحملهم على الكره، فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة، فاشتراط القرشية إنما قصد به دفع التنازع بين المسلمين[4]؛ لأن القائم بأمور المسلمين لابد أن يكون من قوم أولي عصبية قوية مهابة.

وقد أورد المحدثون عددًا من الأحاديث النبوية التي تدل كلها على أن الأئمة من قريش، والخلافة فيهم[5] لذلك تمسك المهاجرون بهذا الشرط في اجتماع السقيفة عندما طالب (سعد بن عبادة) بالخلافة، فردَّ عليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يذكره بما قاله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): (لن تعرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم

---

(١) ابن خلدون، المقدمة ص ٣٤٢ الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٤٠ تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، د. بشير رمضان التليسي، د. هاشم الذويب ص ٦٥

(٢) الخضري بك، إتمام الوفاء، ص١٢

(٣) الماوردي، ص ٤٢

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٤٥

(٥) الطبري، ج ٣ ص ١٩٩ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٢

أوسط العرب نسبًا ودارًا)[١] وكان لهذا الرد أثرُه الكبير في تحرج موقف الأنصار وزعيمهم ابن عبادة، لاسيما أنه تم ترجيح كفة المهاجرين على الأنصار بعد أن كانت الكفتان قريبتيْن من التعادل، ومن المعروف أن قريشًا كانت لها الزعامة على العرب في الجاهلية باعتبار أهلها هم أهل الحرم والقائمون على البيت الحرام. وازدادت هذه المكانة سموًّا في الإسلام [٢] ثم استند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)على عصبية أخرى هي قرابة المهاجرين للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال مخاطبًا الأنصار: (والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا لمن كانت النبوة فيهم، وأولي الأمر منهم لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد (صلى الله عليه وسلم) وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٌّ بباطل، أو متجانف لإثم، أومتورط في هلكة)؛ لهذا رجحت كفة أبي بكر (رضي الله عنه) باستناده إلى ركيزتين، هما:

١ - ركيزة الدين.

٢ - وركيزة العصبية[٣]

(١) ابن هشام، ج ٤ ص ٣١٠ الطبري، ج ٣ ص ٣٠١

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ١١٢

(٣) عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة، ص ٣١٩



أبرز الأحداث في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

- استيعاب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- دفن النبي (صلى الله عليه وسلم).
- ميراث النبي (صلى الله عليه وسلم).
- إنفاذ جيش أسامة.
- حروب الردة (تعريفها وأسبابها).
- الفئات التي ارتدت عن الإسلام، ومطالبها.
- ردة عبس وذبيان قبل تجهيز الجيوش الإسلامية للمواجهة.
- تجهيز الجيوش والألوية لقتال المرتدين بعد عبس وذبيان.
- الكتب التي وجهها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) للمرتدين.
- كتاب أبي بكر لأمراء الجيوش الإسلامية.

الفصل الرابع

أبرز الأحداث

في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

أولًا: استيعاب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)

لقد أذهلت مصيبة وفاة النبي محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) الناسَ ومعظم الصحابة، حتى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يصدق بأن النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) قد مات، وقال للناس: (إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد توفي، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل إنه مات. ووالله، ليرجعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلَهم؛ لأنهم زعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مات، وقالوا: (ما كنا نظن أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يموت حتى يُظهر على الأرض)[١]

لكن أبا بكر الصديق حسمَ الموقف بعد أن تأكد من وفاة رسول الله [٢]، وذلك برواية البخاري عن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها قالت: أقبل أبو بكر (رضي الله عنه) على فرسه من داره بالسنح[٣]، ونزل عنه ودخل المسجد ولم يكلم الناس حتى دخل على عائشة (رضي الله عنها)؛ حيث جثمان النبي (صلى الله عليه وسلم) مغطًّى ببرده، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه، فقبَّله وبكى، ثم قال:

---

(١) اليعقوبي، ج ٢ ص ١١٤

(٢) ابن هشام، ج ٤ ص ٣٠٥ اليعقوبي، ج ٢ ص ١١٥ الطبري، ج ٣ ص ١٩٧

(٣) السنح: محله خارج المدينة المنورة، كان يأتيها أبو بكر كل يوم ماشيًا، وربما ركب فرسه، ثم انتقل إلى المدينة المنورة بعياله بعد خلافته بستة أشهر، وترك التجارة، وتفرغ لأمر المسلمين.

بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الميتة الأولى التي كتبت عليك فقد متّها).

قال أبو سلمة: أخبرني ابن عباس أن أبا بكر خرج - وعمر يكلم الناس - فتشهد أبو بكر، وقال لعمر: (إن الله نعاه إلينا بقوله: "إنك ميت وإنهم ميتون") ثم خطب بالناس، وقال: (أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حي لا يموت)[1] وقال أيضًا: قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾،[2] وكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر (رضي الله عنه) فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها[3].

وفي رواية أخرى، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (فكأني لم أقرأها إلا يومئذٍ). هكذا رد أبو بكر (رضي الله عنه) الناسَ من ذهولهم، فاستوعبوا الموقف على عظم المصاب.

ثانيًا: دفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

اختلف الناسُ في المكان الذي يجب أن يُدفن فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال بعضهم: يُدفن في المسجد. وقال آخرون: يُدفن مع أصحابه؛ فقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ما قبض نبي إلا دُفن حيث قُبض)، ثم قال: ارفعوا فراش رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي توفي عليه. وحفروا له ثم دفنوه وسط الليل من ليلة الأربعاء.

ثالثًا: ميراث النبي (صلى الله عليه وسلم):

روى مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أرسلت إلى الخليفة أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما أفاء الله عليه في خيبر والمدينة المنورة وفدك، فقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (نحن لا نورث، ما تركناه صدقة)، وإني لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن حالها التي كانت في عهده، ولا أعمل فيها إلا بما عمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فأبى أبو بكر (رضي الله عنه) أن يدفع إلى فاطمة شيئًا؛ لذلك وجدت على أبي بكر وهجرته، ولم تكلمه حتى وفاتها.

(١) ابن هشام، ج ٤ ص ٣٠٦ الطبري، ج ٣ ص ١٩٨

(٢) آل عمران، ١٤٤

(٣) البخاري، ١٢٤٢ ابن ماجه، ١٦٢٧

رابعًا: إنفاذ جيش أسامة بن زيد:

كان النبي (ﷺ) قد جهز جيش أسامة بن زيد قبل وفاته؛ لمحاربة من ارتد من قبائل أهل الشام التي انضمت للروم البيزنطيين فاستعملوها على بادية الشام (العرب)، وكان عدد جيشه سبعمائة مجاهدًا، سار بهم قاصدًا مواطن تلك القبائل في (أبني)، وعندما وصل الجيش إلى منطقة (الجوف)[١] كان النبي (ﷺ) مريضًا؛ فأرسلت زوجة أسامة[٢] بالخبر لزوجها، وأبلغته أنْ تريث بالمسير؛ لأن المرض قد ثقل على النبي (ﷺ)، فمكث في الموضع الذي وصل إليه وهو موقع (ذي خشب) حتى قُبض رسول الله (ﷺ)، وعندما بويع أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين قرر إنفاذ جيش أسامة كما أمر النبي (ﷺ)، فأشار عليه كبار الأنصار أن يولي من هو أسنّ من أسامة، وقد حمل هذه الرسالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؛ مما أغضب أبا بكر فقال لعمر: استعمله رسول الله (ﷺ) وتطلب مني أن أعزله؟! وأصّر على إنفاذه، أما أسامة فرجع إلى أبي بكر بعد وفاة النبي (ﷺ) وقال له: إنّ رسول الله (ﷺ) بعثني وأنا على غير حالكم هذه، وأنا أتخوف أن تكفر العرب؛ فإن كفرت كانوا أول من يقاتل، وإن لم تكفر مضيت، فإن معي خيار الناس)، فجمع أبو بكر الناس وخطب فيهم، وقال:

(والله، لئن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله (ﷺ)، وقال: (والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السّباع تختطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به النبي (ﷺ)، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته)[٣] فودّع الجيش - بنفسه - ماشيًا، وكان أسامة راكبًا فرسه، فقال أسامة لأبي بكر: يا خليفة رسول الله (ﷺ) لتركبن أو لأنزلن)، فقال أبو بكر: (والله ما نزلت ولا ركبت، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله، للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه). ثم أوصاه وأصحابه، فقال[٤]: (لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا شيخًا، ولا طفلًا، ولا تعزقوا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا بقرة ولا شاة ولا بعيرًا إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع،

(١) موقع قرب المدينة المنورة

(٢) فاطمة بنت قيس

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٢١ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٤٢

(٤) ابن سعد في الطبقات، ج ٤ ص ٦٧ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٨ ص ٦٨

فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم إليه، وإذا لقيتم قومًا فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب؛ فأضربوا بالسيف ما فحصوا عنه، فإذا قرب عليكم الطعام؛ فاذكروا اسم الله تعالى، ويا أسامة اصنع ما أمرك نبي الله ببلاد قضاعة، ثم أنت قاتل ولا تقصر من أمر رسول الله (ﷺ)، ثم ودّعه من الجرف[١] ورجع، سار أسامة وكان لا يمر جيشه بقبيلة كانت تريد الارتداد عن الإسلام، إلا قالت: (لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلاقوا الروم، ثم نقرر ماذا سنفعل).

أغار جيش أسامة على الروم وحلفائهم في منطقة (أبني)، ونجح في هزيمة قواتهم، وسبى، وغنم، ورجع إلى المدينة المنورة بعد أربعين يومًا، وثبتت القبائل حول المدينة المنورة على إسلامها[٢]. وكان إنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعًا للمسلمين؛ لأنه أشعرَ العربَ بقوة المسلمين؛ فكفوا عن كثير مما كانوا قد عزموا عليه ضد المسلمين.



(١) موضع قرب المدينة المنورة

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٤٣

خامسًا: الردة:

تعريف الردة:

الردة: تمرد على سلطة الخليفة، فالبعض امتنع عن أداء الزكاة، والبعض أنكر أن محمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين، فادّعى النبوة كطليحة في نجد، ومعه قبائل أسد وغطفان، ومسيلمة في بني حنيفة في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن، لكن هؤلاء ظلوا يؤمنون بالله تعالى، ولم تشمل الردة كلَّ القبائل ولا كل عشائر القبيلة الواحدة، ولا كل القبائل في التجمع القبلي الواحد، فظلت قبيلة عبد قيس على إسلامها، بينما ارتدت قبيلة ربيعة وبكر بن وائل.

أسباب الردة:

١ - وفاة النبي (ﷺ)؛ لا شك أن النبي (ﷺ) كان يمتاز بقوة شخصيته التي كانت جاذبة ومسيطرة ومؤثرة في الأفراد والمجتمع، فعندما توفي - ﷺ - ترك فراغًا استغلته بعض الشخصيات القوية في المجتمع، وقد كان خضوع القبائل للنبي (ﷺ) طوعًا أو كرهًا، لكنها بعد وفاته؛ قررت أنه ليس لأحدٍ غيره الطاعة، وهم خضعوا لسلطته حسب معاهدات واتفاقيات معه حصرًا، فعندما توفي اعتبروها لاغية، وهذا ما أشار إليه شاعر منهم:

- أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
- أيورثنا بكرًا إذا مات بعده وتلك - لعمر الله - قاصمة الظهر[١]
- وهذا يدل على أن رواسب الجاهلية مازالت تسيطر على تفكير بعض الشخصيات.

٢ - التمرد على سلطة المدينة المنورة؛ لأن العرب لا تعرف نظام اللامركزية، ولم تصل سلطة المدينة لمرحلة من القوة تجعلها قادرة على السيطرة والتحكم في حياة القبائل البدوية بشكل كامل، وذلك لقصر المدة بين ظهور الإسلام ودخول تلك القبائل في الإسلام، فتأثير الصحراء والبداوة وعاداتها وتقاليدها ما زال يحتل مساحة أكبر في نفوس أبناء القبائل.

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٣

٣ – كان للديانات السابقة أثرها في إذكاء نار الردة كالمسيحية واليهودية سواء في السر أو العلن.

٤ – العصبيات القبلية، كان من الصعب التخلي عنها خلال سنوات قليلة؛ لذلك قالوا: (كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر).(١)

٥ – ظهور شخصيات ذكية كان لديها صفات القيادة، واستطاعت إتقان دور الزعماء والمصلحين أحيانًا ولديها الطموح، استغلت بكل ذلك جهلَ بعض العرب وضعف إيمانهم، ونجحت في جمع أعداد كبيرة من هؤلاء حولها، وتمكنت بهم من إعلان ردتها وتمردها.

٦ – عدم اكتمال وانتشار الإسلام في كافة أنحاء شبه الجزيرة العربية؛ أوجد البؤر المناسبة لنمو تلك الظاهرة بالشكل الذي سيردْ ذكرُه، لا سيما أن بعض القبائل العربية مازالت قريبة من النصرانية أو العصبية القبلية، ولم تتقبل فكرة الخضوع للغير أو فكرة المساواة والتسامح التي جاء بها الدين الجديد.

حروب الردة:

بعد أن علمت العرب بوفاة النبي (ﷺ) ارتد عدد من قبائلها عن الإسلام، وكان ذلك بعد استخلاف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعشرة أيام، ولم يبق أحد متمسكًا بدينه منهم إلا قريشٌ بمكة المكرمة، وثقيفُ في الطائف وغيرهم قليل، فانقسم الناس بذلك إلى فئات:

أ – الفئات التي ارتدت عن الإسلام:

الفئة الأولى: هي التي تركت دين الله تعالى بشكل كامل من بني طيئ وأسد وغطفان، وقد اعتبر زعماؤهم أن النبوة وسيلة للوصول إلى السيادة والحكم منهم: طليحة بن خويلد الأسدي في نجد، ومسيلمة الكذاب في بني حنيفة في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن..

الفئة الثانية: هي التي ارتدت ووضع زعماؤها التاجَ على رؤوسهم: كالنعمان بن المنذر بن ساوي التميمي في البحرين، ولقيط بن مالك (ذو التاج) في عمان.

الفئة الثالثة: هي التي رفضت دفع الزكاة، وهم من بني تميم، وتزعمهم مالك ابن نويرة، ومعهم بنو هوازن وبنو أسد وغطفان وطيء. كل هؤلاء اعتبروا أن الزكاة تعبيرٌ عن

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٦

التبعية وتقييدٌ للحرية والاستقلال، وهي نوع من الإتاوة. وهذا نوع من أنواع الذل لم يألفوه سابقًا رغم أنّ الإسلام لم يعتبر الجزية إتاوة عندما دفعت في عهد النبي (ﷺ) وبعد وفاته تمردت هذه الفئة، ورفضت دفع الزكاة.(١)

الفئة الرابعة: من البدو، فحياة البداوة ليس من السهل أن تنقاد وتخضع لحكومة مركزية مدنية، بسبب الاختلاف بين طباع البداوة وطباع الحضر، فالبدوي يميل إلى الاستقلال والحرية، والواقع الآن يفرض عليه الالتزام والخضوع لحكومة وقوانين؛ لذلك انتفضوا مدفوعين بالعصبية القبلية وبأفكار الجاهلية المدمرة، وأعلنوا عدم رضاهم بتفوق قريش وزعامتها، التي أصبحت وراثية، وهو ما لم يألفه العرب من قبل.(٢)

الفئة الخامسة: هي المعترضة على اجتماع السقيفة، مع احتفاظها بجوهر العقيدة الإسلامية والتمسك به، لكنهم بعد أن استتب الأمر لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عادت إلى قواعدها، وبايعت أبا بكر وهم من عبس وذبيان.

وقد كان أبو بكر الصديق مصممًا على قتال أهل الردة، الذين قالوا نصلي ولا نزكي، فكيف من ارتدوا عن الإسلام بشكل كامل!؟. وقد كان رأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الرفقَ بهؤلاء؛ لأنهم هائجون، ولأن النبي (ﷺ) قال: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلٰه إلا الله، فمن قالها عَصَم مني ماله ونفسه، إلا بحقها وحسابه على الله)(٣) وقال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها).(٤)

لقد كان أبو بكر محقًّا في التمسك بالصلاة والزكاة معًا؛ لأنه لو تهاون بالزكاة أو بالصلاة لفتح بابًا للتهرب من أداء فرائض أخرى، وقد أرسل أبو بكر إلى كلِّ جماعة من المرتدين رسالة أخبرهم فيها بوفاة النبي (ﷺ) مما يناسب قول الله (عز وجل):

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١١٧

(٢) محمد حسين هيكل، الصديق أبو بكر، ص ٩٩ محمد سهيل طقوش ص ٧٠

(٣) البخاري، ج ١ ص ١٣ النسائي، ج ٧ ص ٧٧ أبو داوود، ١٥٥٦ الترمذي، ٢٦٠٦

(٤) د. علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢١٧

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[٢].

ودعاهم للاعتصام بحبل الله (عز وجل)، وظل أبو بكر متمسكًا بالحق والصواب حتى عندما أرسل طليحة الأسدي وفدًا من أسد وغطفان وطيء إلى المدينة المنورة يطلب من أبي بكر إعفاءه م من الزكاة مقابل تمسكهم بالصلاة، وقد أشار بعض المسلمين على أبي بكر أن يقبل طلبهم، وقالوا: (اقبل منهم يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ فإن العهد حديث، والعرب كثير، ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع أننا سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله" قال أبو بكر: "هذا حقنا، ولا بد من القتال".

طلب بعض المسلمين من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يخلوا بأبي بكر، ويحاول معه لعلّه يقبل من المرتدين الصلاة، ويعفيهم من الزكاة، فحدثه عمر، وقال له: (يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تآلف الناس وأرفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش الآن)، فردَّ عليه أبو بكر: (رجوت نصرتك، وجئتني بخذلانك!، أجبارٌ في الجاهلية، خوارٌ في الإسلام!؟ بماذا عساي أن أأتلفهم بشعر مفتعل أم بسحر مفترى؟ هيهات هيهات)[٣] ثم قال: (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدوها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه، ولو لم أجد أحدًا أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي، حتى يحكم الله بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين، وقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (أمرت أن أقاتل الناس على ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فوالله الذي لا إله إلا هو لا أقصر دونهن)[٤] قال عمر: (فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح اللهُ صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق، وتذكرت قول الله (عز وجل): ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٥]

(١) الزمر، الآية ٣١
(٢) آل عمران، الآية ١٤٤
(٣) السيوطي، ص ٦٨
(٤) ابن قتيبة، ص ٢ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١ ص ١١٣
(٥) الحجرات، الآية ١٣

٢ - المرتدون:

*** ردة عبس وذبيان:**

كان أبو بكر الصديق ينتظر عودة جيش أسامة بن زيد بعد أن نفّذ مهمته في الشام، وفي هذه الأثناء عاجلته قبيلة عبس وذبيان ومعهما جماعة من بني أسد، ومن ينتسب إليهم من كنانة؛ بإرسال وفدٍ لأبي بكر يطلبُ منه السماح لقبائلهم بالاقتصار على الصلاة وإعفائهم من دفع الزكاة، لكنّ أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) رفض طلبهم، وردَّ الوفد خائبًا، وأقسم أنه سيقتل منهم أعدادًا تساوي أعداد المسلمين الذين قتلتهم عبس وذبيان، وعندما وصل جيش أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة المنورة حتى يستريح مع جنده، وجعل على أطراف المدينة المنورة عليًا بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وأمر أهل المدينة المنورة بلزوم المسجد النبوي، وسار هو مع جمع من المسلمين لقتال عبس وذبيان؛ لأنهم كانوا يستعدون لمهاجمة المدينة ليلًا، ولأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة ولأنهم قتلوا من بقي في منطقتهم من المسلمين.

أغار هؤلاء على المدينة المنورة ليلًا كما توقع أبو بكر؛ لأن وفدهم الذي قابل أبا بكر قال لهم: (إن عدد المسلمين في المدينة المنورة قليل، وإمكانياتهم العسكرية ضعيفة، لذلك يمكن هزيمتهم وكسر شوكتهم).

نزل أبو بكر في الأبرق من أرض الربذه في منازل ذبيان[١]، ومنها انطلق لقتال المرتدين فلقيهم في ذي الخشب وهزمهم، فاتجهوا نحو طليحة الأسدي ببزاخة[٢] ووصل إلى ذي القصة فترك فيها النعمان بن مقرن، وعاد هو إلى المدينة المنورة بعد أن أصبحت مناطق ذبيان حمًى لدواب المسلمين، وفي المدينة المنورة جهز أبو بكر الكتب لإرسالها للمرتدين في المناطق الأخرى؛ لعلهم يعودوا للحق، وعقد الألوية استعدادًا لقتالهم إن لم يستجيبوا سلمًا.

ب - تجهيز الجيوش والألوية لقتال المرتدين بعد عبس وذبيان:

في ذي القصة عقد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أحد عشر لواءً لأحد عشر قائدًا لقتال المرتدين الذين لم يستجيبوا للإسلام، والقادة هم:

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ١ ص ٦٨

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ ص ١٠٨ «عين ماء لبني أسد قرب مكة المكرمة»

١ - خالد بن الوليد "سيف الله المسلول" أرسله لقتال طليحة بن خويلد الأسدي في عين بزاخه، فإن فرغ منه قصد مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد في البطاح[١]، والبطاح منزل لبني يربوع عنده ماء يقع في ديار بني أسد بن خزيمة.

٢ - عكرمة بن أبي جهل المخزومي، هو عمرو بن هشام المخزومي القرشي من أبطال الجاهلية، ثم الإسلام، أسلم بعد فتح مكة المكرمة، واستشهد في معركة اليرموك عام ١٣/ هـ- ٦٣٤/ م أرسله أبو بكر إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة، وبعدها إلى منطقة دبا.

٣ - شرحبيل بن حسنة، هو شرحبيل بن عبد الله الكندي، صحابي عرف بابن حسنة نسبة لأمه، أسلم بمكة المكرمة، وهاجر إلى الحبشة، توفي عام ١٨ / هـ- ٦٣٩ / م، كان أبو بكر قد أرسله ليساعد عكرمة في القتال ضد مسيلمة الكذاب، وبعده يساعد عمرو بن العاص.

٤ - المهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي[٢]، أرسله أبو بكر لقتال المرتدين في اليمن بزعامة الأسود العنسي، وأمره أن يتجه بعدها إلى كندة بحضرموت.

٥ - حذيفة بن محصن الغطفاني أرسله أبو بكر إلى أهل دبا.

٦ - عرفجة بن هرثمة الأزدي من أهل البحرين، أرسله إلى أهل مهرة، وأوصاه بالتعاون مع حذيفة، وكل منهم أمير على صاحبه في عمله، توفي عام٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

٧ - سويد بن مقرن، أرسله أبو بكر إلى تهامة في اليمن.

٨ - العلاء بن الحضرمي، صحابي أسلم في صدر الإسلام، جعل له النبي (صلى الله عليه وسلم) جباية الصدقات، أرسله أبو بكر الصديق إلى البحرين لقتال مـن ارتد من ربيعة.

٩ - طريف بن حاجز، أرسله إلى بني سليم ومن ارتد معهم من هوازن.

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، أسلم عام سبعة للهجرة قبل فتح مكة، ومات على فراشه، وأمنيته الموت في المعركة، دفن في حمص عام ٢١ للهجرة - ٦٤٢ م روي له ثمانية عشر حديثًا، سماه الرسول (ص) سيف الله المسلول، وذلك لانكسار سبع سيوف بيده.

(٢) صحابي كان يوم بدر مع المشركين، وعندما أسلم كان اسمه الوليد، لكن النبي (ص) سماه المهاجر، توفي عام ١٢ هـ ٦٣٣ م

١٠ – عمرو بن العاص، أرسله إلى قبيلة قضاعة.[١]

١١ – خالد بن سعيد بن العاص، أرسله إلى مشارف الشام.[٢]

سادسًا: الكتب التي وجهها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) للمرتدين:

١ - كتاب أبي بكر لأمراء الجيوش:

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا عهدٌ من أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "لفلان" حيث بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سرّه وجهره، وأمره بالجدّ في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم، فيدعوهم بدعاية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنَّ عليهم غاراته، حتى يقرّوا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، ولا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن القتال، فمن أجاب من عدوهم إلى أمر الله، وأقر له؛ قبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استتر فيه، ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقُوتل حيث كان، وحيث بلغ مرغمه، لا يقبل الله من أحد شيئًا مما أعطى إلا الإسلام، فمن أجابه وأقرّ قبل منه وأعانه، ومن قاتله فإن أظهره الله (عز وجل) عليه قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسَّم ما أفاء الله إلا الخمس فإنه يبلغانه، ويمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوًا حتى يعرفهم، ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونًا، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين، ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول)[٣]

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، فاتح مصر، أسلم في هدنة الحديبية، من دهاة العرب، له ٣٩ حديثًا مرويًا، توفي عام ٤٣ هـ ٦٦٤ م

(٢) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي، أسلم في صدر الإسلام عندما كانت الدعوة سرًا، استشهد في موقعة مرج الصفر قرب دمشق، عام ١٤ هـ ٦٣٥ م

(٣) محمد الخضري بك، إتمام الوفاء، ص ٢٥

٢ - الكتب التي وجهها أبو بكر لحملة الرايات لحقن الدماء:

١. وجه كتابًا للأمراء الذين يحملون الرايات، ويحثهم فيه على قتال كلِّ من رجع عن الإسلام، ويدعوهم قبلها إلى العودة الصادقة لدين الله، فإن استجابوا أمسكَ عنهم وقبل منهم، وأعانهم على ذلك بالمعروف، وإلا لابد من القتال حتى يتم القضاء على المرتدين، أو يقضي الله أمرًا كان مكتوبًا.

٢. ووجه كتابًا آخر للمرتدين جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد الله إليكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، أما بعد: فإن الله (عز وجل) أرسل محمدًا (ﷺ) بالحق إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا؛ لينذر من كان حيًّا، ويحق القولُ على الكافرين، يهدي الله للحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله (ﷺ) بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعًا أو كرهًا، ثم توفي رسول الله (ﷺ) بعد أن نصح أمته، وقضى الذي عليه، وقد بين الله "عز وجل" ذلك لأهل الإسلام، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[(١)] وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[(٢)] وخاطب المؤمنين أيضًا بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(٣)] فمن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد حي لا يموت، ولا تأخذه سِنة ولا نوم، وإني أوصيكم بتقوى الله وما جاء به نبيكم، وأن تهتدوا بهديه، وأن تعتصموا بدين الله (عز وجل) فمن لم يهده الله ضل، وكل من لم يعرفه مبتلًى، وكل من لا ينصره مخذول، فمن هداه الله كان مهديًّا، ومن أضله كان ضالًّا؛ لقوله تعالى:

---

(١) الزمر، الآية ٣٠

(٢) الأنبياء، الآية ٣٤

(٣) آل عمران، ١٤٤

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾[1] لقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه الإسلام بعد أن أقر به ورجعته اغترارًا بالله (ﷻ) وجهالة لأمره وإجابة للشيطان، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[2] وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3] وإني قد أنفذت لكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألّا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحًا قبِلَ منه، ومن أبى سيقاتله على ذلك، ويسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن آمن فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز الله).

أرسل بهذه الكتب والرسائل قبل أن يصل الأمراء إلى المرتدين، كذلك حمل الأمراء الكتب ليقرؤوها على المرتدين تأكيدًا لطلب العودة عن الردة بالسلم والحوار، قبل أن يصبح القتال والقتل لغةَ التفاهم.

(١) الكهف، الآية ١٧ الخضري بك، ص ٢٥ للظالمين بدلاً، الكهف، الآية ٥٠ «أصحاب السعير» سورة فاطر، الآية ٦ محمد الخضري بك، ص ٢٦

(٢) الكهف، الآية ٥٠

(٣) فاطر، الآية ٦



- أ - المسير لقتال المرتدين:
  - ١ - ردة طليحة بن خويلد الأسدي.
  - ٢ - ردة بني عامر بن صعصعة.
  - ٣ - ردة سلمى بنت مالك بن حذيفة.
  - ٤ - ردة بني سليم.
  - ٥ - ردة مالك بن نويرة.
  - ٦ - ردة سجاح.
  - ٧ - ردة مسيلمة الكذاب.
  - ٨ - ردة أهل البحرين.
  - ٩ - ردة أهل عمان ومهرة.
  - ١٠ - ردة أهل اليمن والأسود العنسي.
  - ١١ - ردة كندة في حضرموت.
- ب. نتائج حروب الردة.
- ج. جمع القرآن الكريم.

الفصل الخامس

المسير لقتال المرتدين

١ - قتال طليحة بن خويلد الأسدي:

كان كاهنًا في بني أسد بن خزيمة، وأحلافهم من (طيء عوف، وغوث، وجديلة، وانضمت إليهم عبس وذبيان، وبعض أفراد من قبيلة غطفان، وبنو عامر، وكانت قبيلة بزاحه منطقة نفوذهم) وقد ادعى طليحة النبوة في حياة النبي (ﷺ) ليكون له مثل ما لنبي قريش من الرياسة والجاه، وكان يسمي المَلَك الذي يأتيه ذا النون[1]

تبعته بعض القبائل من اليهود، فجمع أتباعه في منطقة فلطحة، أي: سمراء، وهي من بلاد بني أسد شرقي نجد مما يلي العراق، فبعث النبي (ﷺ) ضرار بن الأزور الأسدي؛ لقتاله، فنزل في (موقع بواردات) واشتبك معه وضربه بالسيف، لكنه لم يتمكن من إصابته، فشاع أن السيف لا يحيك في جسد طليحة، ولما أراد ضرار الاستمرار في ملاحقة طليحة؛ وصلت أنباء وفاة النبي (ﷺ) فتوقف ضرار قبل أن يتمكن من هزيمة طليحة[2] فاستطار طليحة، واجتمعت عنده الأتباع وهم أكثر من سبعمائة من بني فزارة، ومن قبائل أسد وغطفان، وعلى رأسهم عيينة بن حصن الذي انضم لطليحة، وهو يعلم كذبه لقوله: (والله لئن نتبع نبيًّا من الحليفين أحبّ إلينا من أن نتبع نبيًّا من قريش، وها قد مات محمدٌ وبقي طليحة)[3] وهناك دليل آخر على أنهم يعلمون أن ادعاء طليحة كذب وافتراء؛ لأنه عندما جاء طليحة إلى اليمامة، التقى بمسيلمة الكذاب فسأله من يأتيك؟ قال رحمن، قال: أفي ظلمة، أم في

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٠ الخضري بك، ج ١ ص ١٧٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٥٦

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٥٨ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٦٢

نور؟ قال: في ظلمة، قال: أشهد أنك كذاب، وأن محمدًا صادق، لكن كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر)[1] وقد اجتمعت لطليحة قبائل ليست متجانسة حتى أن فئة من طيء كانت ضد هوازن وبني أسد، وأحلافها، وكانوا يشتمون بعضهم، لكنهم لم يقتتلوا، وذلك كله بسبب قبول بيعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أو رفضها، وقد عاد ضرار بن الأزور إلى المدينة المنورة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)[2]

وعندما استقرت الخلافة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أرسل طليحة وفدًا إلى المدينة المنورة من بني أسد وهوازن وغطفان وطيء، وذلك في اليوم العاشر لوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد أبلغ الوفد أبا بكر باستعداد طليحة وقومه إقامة الصلاة والالتزام فيها مقابل إعفائهم من أداء الزكاة؛ لأنهم ينظرون إليها كنوع من الإتاوة، لكن أبا بكر (رضي الله عنه) رفض هذا الطلب، وردَّ الوفد خائبًا، فحاول بعض المسلمين من أهل المدينة المنورة إقناعه بأن يقبل ما طلبه وفدُ طليحة، قائلين له: (يا خليفة رسول الله، فإن العهد حديث، والعرب كثير، ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالحرب مع أننا سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)، فقال أبو بكر: (هذا حقنا، ولا بد من القتال لأجله). وأرسل خالد بن الوليد على الناس، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار، وأمرُه لخالد، وأمرَه أن يتصدى لطليحة وعيينة بن محصن في بزاحه، فسار خالد حتى اقترب من القوم فأرسل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم - وهما من بني العجلان حلفاء الأنصار - بمهمة الاستطلاع، فلقيا طليحة وأخاه سلمة، فتعجل سلمة وقتل ثابت بن أقرم، ثم تعاون مع أخيه طليحة وقتلا عكاشة، ففزع المسلمون لمصرعهما؛ لأنهما سيدان من سادة العرب المسلمين وفارسيْن من فرسانهم.

حاول خالد بن الوليد تهدئة حالة الفزع التي أصابت الجيش الإسلامي، وقال لهم: (هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حي من أحياء العرب كثير عددهم شديدة شوكتهم لم يرتد منهم أحد عن الإسلام)، قالوا: نعم، هذا الحي فمن هو؟ قال: إنهم طيء في ذي القصة، فسار إليهم خالد بن الوليد، وكان عدي بن حاتم الطائي قد طلب من أبي بكر اللحاق بقومه طيء ليردهم إلى الإسلام فأقره على ذلك، فسبق إلى قومه قبل أن يصل خالد إليهم وعندما وصل خالد وجد حاتم قد هيأ له هذا الحي، فاستقبلوه وبايعوه ونصروه؛ لأن طيء كانت على خلاف مع بني أسد وفزارة من أجل بيعة أبي بكر، وعندما قابلهم عدي

(١) ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٤٤

(٢) ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٤٥

قال لهم: (لقد أتاكم قوم ليستبيحن حريمكم ولتكنوه "بالفحل الأكبر" فشأنكم به، فقالوا له: فانهه" أي: كفه عنا، حتى نتمكن من إعادة من لحق من قبيلتنا بالبزاحه فإنا إن خالفنا طليحة وهم بين يديه قتلهم أو ارتهنهم، فاستقبل عدي خالدًا بالستح، وقال له: (أمسك عني ثلاثة يجتمع إليك أكثر من خمسمائة مقاتلًا، تضرب بهم عدوك، وهذا خير من أن تعجلهم إلى النار، وبعد ثلاثة أيام عاد إليهم وقد وافقوه على الإسلام والطاعة، وأعادوا إخوانهم بني يغوث من بزاحه ومن أرض طيء.

نزل خالد بن الوليد إلى بزاحه، وأراد المسير منها إلى جذيلة، فطلب عدي منه أن يسمح له بالذهاب قبله إليها قائلًا: (إنّ طئ كالطائر، وإن جديلة جناحي طيء، فأجلني أيامًا قليلة؛ لعل الله ينقذ جديلة، كما أنقذ بني يغوث في طيء) فقبل منه خالد ذلك.

أتاهم عدي وحاورهم، وأعادهم لصف المسلمين، وانضم منهم ألف فارس لجيش المسلمين، فكان عدي بما فعله خير مولود ولد في أرض طيء، وأعظمه بركة عليهم[1]

التقى خالد بمن بقي مع طليحة وعيينة، وهم سبعمائة من فزارة يقودهم عيينة، أما طليحة فكان في خيمته ينتظر حسب ادّعائه الوحيَ والتعليمات من ذي النون، بينما القتال مستمر بين جيش المسلمين بقيادة خالد وجماعة طليحة بقيادة عيينة، وقد كان عيينة يأتي خيمة طليحة ويسأله: ألم يأتك الوحي بعد؟ فيقول: لا.. فيشتد القتال، ويكاد جيش طليحة يُهزم، فيعود عيينة ويسأل طليحة، فيجيب بلا، ثم أجاب أخيرًا عندما عرف أن جيشه قد هزم (نعم، جاء المَلَك، وقال: إنّ لله يومًا ستلقاه ليس لك أوله، ولكن لك أخراه، وإن لك رحًى كرحاه، وحديثًا لا تنساه)، قال عيينة: (أظن أن قد علم الله أنه سيكون حديثًا لا تنساه يا بني فزارة، فانصرفوا فهذا والله كذاب)[2] فانصرف بنو فزارة، وقالوا لطليحة: بماذا تأمرنا؟ وكان هو قد أعد فرسًا له ولزوجته النوار، فوثب عليها وحمل زوجته؛ لينجو، قائلًا: مَن استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت فلينجُ بأهله؛ لأنه أدرك أن قوة المسلمين كبيرة، وأنه وقومه لا يستطيع الصمود أو النصر لضعفهم، فسلك مع زوجته طريق الشام، ونزل في قبيلة كلب، وعندما علم أن بني أسد وغطفان وبني كلب وعامر قد أسلموا؛ أعلن إسلامه، وخرج معتمرًا إلى مكة المكرمة، كل ذلك حدث في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[3]

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٥٣

(٢) الطبري، ج٣ ص ٢٥٤ ابن خلدون، المجلد الثاني، ص ٧٠ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٤٦

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٤٤

وقد مرّ طليحة بجانب المدينة المنورة، فقيل لأبي بكر هذا طليحة، فقال: ما أصنع به؟، خلّو عنه؛ فقد هداه الله للإسلام. وعندما أصبح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين، قال لطليحة: (أنت قاتل عكاشة وثابت، والله لا أحبك أبدًا)، فقال: (يا أمير المؤمنين، هما رجلان أكرمهما الله بيدي، ولم يهني بأيديهما)، فبايعه عمر، ثم قال له: (يا جذع ما بقي من كهانتك) قال: (نفخة أو نفختان بالكير)، ثم رجع إلى دار قومه، وظل فيها حتى خرج مع الجيش الإسلامي لفتح العراق، وأبلى بلاءً حسنًا[١]

٢ - ردة بني عامر بن صعصعة:

ارتدت بنو عامر بزعامة قرة بن هبيرة وعلقمة بن علثمة، فأرسل لهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) القعقاع بن عمرو، فهاجمهم ونجح في القضاء على ردتهم. وعندما تمكن خالد بن الوليد من هزيمة قبائل أسد وغطفان وطيء أهل بزاخة، أقبلت إليه قبيلة بني عامر، وقالت له: (ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله)، فبايعهم على ما بايع عليه أهل بزاخة من قبل، وطلب منهم أن يسلموه المسؤولين من هوازن وسليم عن قتل المسلمين الذين كانوا بأرضهم، فأتوه بهم، فعاقبهم[٢] حسب الشريعة الإسلامية، واستثنى منهم قرة بن هبيرة القشيري ونفرًا معه، وسيرهم إلى أبي بكر الصديق، وطلب ممن عادوا للإسلام أن يقيموا الصلاة، ويدفعوا الزكاة، وأن يبايعوه على ذلك مع أبنائهم ونسائهم، فتم ذلك[٣]

٣ - ردة سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر(أم زمل):

اجتمعت لديها فلول غطفان وطيء وسليم وهوازن بالحوأب، فحرضتهم على القتال ضد المسلمين، وكانت تركب جملًا، فكثرت حشودها، واستفحل أمرها، فزحف إليها خالد بن الوليد واشتبك معها ونجح في قتلها، وقتل حول جملها (الذي هو في الأصل لوالدتها أم قرفة) مائة رجل، وقتلت هي، وهرب من بقي من أتباعها حيًّا.

كانت سلمى إحدى السبايا في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي حياة أمها (أم قرفة)، أعتقتها عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، وقد قال لها رسول الله يومًا[٤]: (إن إحداكن تستنبح كلاب الحوأب)، وقد حدث ذلك أثناء مسير سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى العراق.

---

(١) البلاذري، ج ١ ص ١١٥ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٤٧ ابن خلدون، ج ٢ ص ٥٧

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٤٨ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٢

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٤ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٥٠ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد واحد، ص ٤٠٨

(٤) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٥ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٥١ البلاذري، ج الأول، ص ١١٦ ياقوت الحموي، مجلد واحد، ص ٤٠٩

٤ – ردة بني سليم:

كان الفجاءة إياس بن عبد ياليل قد سار إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وطلب منه السلاح لقتال المرتدين فأعطاه وأمره، فلما رجع إلى قومه في (الجواء)، ارتد وأرسل نجية بن الميثاء من بني الشريد؛ ليشن غارة على المسلمين في منطقة سليم وعامر وهوازن، فلما علم أبو بكر (رضي الله عنه) بذلك سير إليه طريفة بن حاجز ومعه عبد الله بن قيس الماسي، وكتب أبو بكر لطريفة يقول:(إن عدو الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلم، ويسألني أن أقويه على من ارتد عن الإسلام، فحملته وسلحته، ثم انتهى إلى يقين الخبر أنه عدو الله، وقد استعرض الناس السلم منهم والمرتد بأخذ أموالهم، وقتل كل من يخالفه منهم، فسرْ إليه بمن معك من المسلمين؛ حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به)، فسار إليه طريفة ولقيه مع أتباعه في (الجواء) فاقتتلوا معًا، ونجح طريفة في قتل نجية؛ لأنه رفض التوبة والعودة إلى الإسلام، بينما رجعت بني سليم إلى رشدها ودين الإسلام فنجت[(١)]، وقال الشاعر خفاف بن ندبة بن عمير، يصف الفجاءة بما صنع:

لم يأخذوا سلاحه لقتاله ... ولذالكم عند الإله آثام

لا دينهم ديني ولا أنا منهم ... حتى يسير إلى الصراة شَمامُ

وقد اعتبر المؤرخون قضاء الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) على المرتدين من أعظم الأعمال التي قام بها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حتى أصبح يُضرب المثل: فإذا استعصت الأمور وسارت على غير طبيعتها، قالوا: ردة لا أبا بكر لها[(٢)]

٥ – مالك بن نويرة اليربوعي التميمي، وقومه بني تميم[(٣)]

كان النبي(صلى الله عليه وسلم) قد أمّر على بني تميم ستة من الأمراء، هم:

١ – الزبرقان بن بدر، أمّره على (الرباب).

٢ – قيس بن عاصم، أمّره على (مقاعس والبطون).

٣ – صفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو، سيَّرهما إلى (بني عمرو).

٤ – مالك بن نويرة، سيّره إلى (بني يربوع).

٥ – وكيع بن مالك، سيّره إلى(بني مالك).

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٥ تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٢ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٥ تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٢ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٠

(٣) مالك أبو حنظلة، فارس وشاعر، ولاه النبي (ص) الصدقات في قومه، ثم ارتد؛ فقتله ضرار بن الأزور.

وبعد وفاة النبي (ﷺ) أرسل الزكاة والصدقات لأبي بكر كلٌّ من صفوان والزبرقان، ومنعها قيس ومالك، ووزعها على قومه ليتألفهم، فقام من بقي على إسلامه في وجه المرتدين والرافضين لأداء الزكاة والصدقات، وبينما هم على اختلافهم حول (أندفع أم لا ندفع الزكاة والصدقات؟)، ظهرت امرأة تدعى (سجاح) مدعية النبوة، وتبعها كثير من جهلة العرب، ونصارى تغلب، وسارت بمن تبعها نحو المدينة المنورة؛ لقتال أبي بكر، وعندما وصلت منطقة لبني تميم وهي (الحزن)، أرسلت إلى مالك بن نويرة اليربوعي طلبًا بالموادعة، فوادعها وردّها عن مهاجمة المدينة المنورة، وحملها على أحياء من بني تميم هو على خلاف معهم، فأجابته، وقالت: (أنا امرأة من بني يربوع، فإن كان ملك، فالملك ملككم)، وهاجمت المسلمين في بني تميم ومعها وكيع بن مالك وقومه، ثم أغارت على (الرباب) في أرض بني تميم، واستعر القتال بين بطون بني تميم، فتمكنت سجاح من هزيمتهم؛ مما شجعها على المضي قدمًا نحو المدينة المنورة، وعندما وصلت (النباح) اعترضها جماعة من بني تميم، واشتبكوا معها، وأجبروها على التراجع، فقالت لمن معها: (عليكم باليمامة، ودفوا دفيف الحمامة؛ فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة)[1] فاتجهوا نحو اليمامة، وهناك اجتمعت بمسيلمة الكذاب[2]

أمّا مالك بن نويرة، فقد جمع قومه في البطاح، وهو في حيرة من أمره؛ لأن عددًا كبيرًا من قومه منهم بنو تميم قد عادوا للإسلام، وبقي هو ونفرٌ قليل خارجين عن الإسلام. وكان خالد بن الوليد قد خرج إليهم وهم في(البطاح)، ومعه المهاجرون والتابعون، ثم لحقت به الأنصار بعد أن تخلفت؛ لأنها أدركت أنه لو أصاب القومُ خيرًا لحُرِمَته، وإن أصابتهم مصيبة فسيوجه اللوم من الناس لهم، وسار خالد بمن معه نحو (البطاح) لكنه لم يجد في المكان أحدًا من جماعة مالك بن نويرة[3]؛ لأن مالك فرّق جماعته، ونهاهم عن الاجتماع إلا بأمره، ولزم هو منزله.

أرسل خالد بن الوليد السرايا بحثًا عن مالك وجماعته، وأمرهم أن يدعو الناس إلى الإسلام، ومن لم يجب يقتلوه، وكانت وصية أبي بكر لخالد: (إذا نزلتم منزلًا فأذّنوا وأقيموا الصلاة، فإن أذن القوم وأقاموا الصلاة فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلابد من الإغارة عليهم وقتالهم، وإن قرروا أداء الزكاة، فاقبلوا منهم وإن أبوا فلا شيء إلا الإغارة عليهم، وقتالهم).

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٢ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦١

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٨ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٤ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٢ الخضري بك، ج ١ ص ١٧٧

(٣) ج ١٥ ص ٢٩٩

تمكنت إحدى سرايا خالد بن الوليد من أسر مالك بن نويرة مع نفر من بني ثعلبة من يربوع ومن بني عاصم وعبيد وعرين وجعفر، وقد اختلفت آراء جماعة خالد بن الوليد حولهم، فمنهم من قال: إنهم أذّنوا، وأقاموا الصلاة مثل أبي قتادة ''وهو الحارث بن ربعي أخو بني سلم''، فأمر خالد بحبسهم حتى ينظر في أمرهم ويتحقق من الصواب. وكان حبسهم في ليلة باردة بل شديدة البرودة، فأمر خالد مناديًا ينادي: أدفئوا أسراكم. ومعنى أدفئوا في لغة كنانة: اقتلوا، وخالد لا يعرف هذا المعنى، وكان قصده أن يقيهم من البرد الشديد، ويوفر للأسرى الدفء، لكن جماعته قتلتهم جميعًا، ومنهم مالك بن نويرة، فقد قتله ضرار بن الأزور، فسمع خالد بن الوليد صراخًا من جهة الأسرى، وكان ذلك أثناء قتلهم، فخرج يستطلع الأمر، فوجد القوم قتلى جميعهم، فقال:(إذا أراد الله أمرًا أصابه).

تزوج خالد بن الوليد من زوجة مالك بن نويرة (أم تميم ابنة المنهال بن عصمة الرياحي) وهذا تعبير عن أسفه لما حصل[١] وتركها لينقضي طهرها، هذا الأمر أغضب عمر بن الخطاب؛ لأنه علم أن مالك كان قد رجع للإسلام[٢]، وبذلك يكون خالد قد قتل مسلمًا، وتزوج امرأته، وهذا ليس دقيقًا.

عاد خالد إلى المدينة المنورة ودخل المسجد؛ ليقابل أبا بكر، فقال له عمر بن الخطاب: (أرثاء! قتلت امرئ مسلمًا، ثم نزوة على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك)، وخالد صامت لا يكلمه، ولا يرد عليه، ودخل خالد عند أبي بكر، وشرح له ما حدث، فرضي منه أبو بكر وعذره، وردّه إلى عمله، ولكنه لامه في زواجه؛ لأن العرب لا ترضى بمثل هذا الزواج[٣].

٦ - ردّة سجاح

كيف ظهرت سجاح؟

عندما استقرت دولة المسلمين في المدينة المنورة، فرّق النبي (ﷺ) عماله في بني تميم، فكانوا يجمعون الصدقات، وينفذون أوامره. وبعد وفاته (ﷺ) انقسمت القبائل، فمنها من استمرت بدفع الصدقات وإرسالها إلى الخليفة أبي بكر الصديق كما كانت في

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٦٨

(٢) البلاذري، ج ١ ص ١١٧

(٣) ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٥ الخضري بك، ج ١ ص ٧٩

حياة النبي (ﷺ)، ومنها منِ امتنع عن جمعها وإرسالها للخليفة، كقيس بن عاصم ومالك بن نويرة. وهذا الأمر شغل القبائل، وأصبحت في خلاف مع بعضها حتى وصلت إلى مرحلة العداء والبغضاء، وبينما هم على هذه الحالة من عدم الاتفاق والتفاهم، ظهرت سجاح وهي امرأة من بني تغلب في أرض الجزيرة العربية، والدها (الحارث بن سويد غطفان التميمي) يُقال لها بنت غطفان، وتكنى أم صادر[١]، قال الشاعر الجاهلي قيس بن عاصم فيها ما يلي:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

أضل الله سعي بني تميم كما ضلت بخطبتها سجاح

وادّعت النبوة بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) وهي نصرانية متكهنة تعلمت الكهانة من نصارى تغلب، وأعلنت أن شأنها كشأن الكهنة المعروفين آنذاك في شبه الجزيرة العربية كابن سلمة، والمأمون الحارثي، وعمرو بن لحي...، وتبعها عدد كبير من جهلة العرب كالهديل بن عمران من بني تغلب الذي ترك النصرانية، وعقه بن هلال في النمر، ووتاد بن فلان في (إياد) والسليل بن قيس في شيبان، فسارت بهم تريد الإغارة على المدينة المنورة، وقتال أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

علاقة سجاح بمالك بن نويرة:

لما وصلت إلى أرض الحزن، راسلت مالك بن نويرة اليربوعي، وطلبت موادعته، فوادعها وردَّها عن غزو المدينة المنورة، ووجهها لغزو بني تميم؛ لأنهم مخالفون له، فقالت له: (نعم، هذا شأنك بمن رأيت، فأنا امرأة من بني يربوع، فإن كان ملك؛ فالملك ملككم)[٢]

علاقة سجاح بمالك بن حنظلة ووكيع بن مالك:

طلبت موادعة مالك ووكيع فوادعاها، وأصبحا حليفيْن لها، فتدارست معهما خطّتها، وأخذت رأيهما بأي القبائل تبدأ غزوها، وبعدها قالت: (أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب)، وعندما علمت قبيلة حجاب بما تدبره سجاح جمعت أبناءها من المسلمين من بني تميم، واصطدمت بقوات

(١) المسعودي، ج ٩ ص ٢٦

(٢) ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٦٠

سجاح فكانت الغلبة لسجاح وحلفائها، وأسر من الطرفين أعدادٌ كثيرة، وقتل أيضًا من الطرفين الكثيرُ مما أسفر عن اتفاق للصلح وتبادل الأسرى، فسارت سجاح نحو المدينة المنورة؛ لإحساسها بالقوة والعظمة. وعندما وصلت (النباح) (وهي قرية في البادية،) اعترضها قوم من بني تميم يقودهم أوس بن خزيمة الهجيمي، وقد تم أسر الهذيل في القتال على يد رجل من بني مازن يدعى "فاشره"، وتم أسر (عقه) على يد عبد الهمجي، ثم تصالح الطرفان على أن يطلق كلٌّ منها أسرى الآخر، وأن تعود سجاح من حيث أتت.

سجاح وأهل اليمامة (مسيلمة الكذاب):

عاد الهديلُ وعقه من الأسر، واجتمع رؤساء أهل الجزيرة، وقالوا لسجاح: ماذا تأمرينا؟ وقد صالح مالك ووكيع قومهما، فلن ينصرونا ونحن عاهدنا قومهم أن لا نعود لقتالهم، فقالت: عليكم باليمامة، قالوا: شوكة أهل اليمامة شديدة، وقد غلظ أمر مسيلمة، فقالت: (عليكم باليمامة، ودفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة)[1] وشدت الرحال نحو بني حنيفة، وعلم مسيلمة بمسير سجاح إليه فهابها وخاف إن شغل بقتالها أن يتمكن خصمه تمامه من التغلب عليه والاستئثار (بحجر) أو خصمه الثاني شرحبيل بن حسنة أو القبائل التي حولهم، أو حتى سجاح نفسها التي ظهرت فجأة، فهذا الخوف والتحسب دفعه لأن يقدم الهدايا لسجاح، فأرسل يستأمنها على نفسه حتى يجتمع بها، فأذنت له وقبلت هداياه وأمنته، فدعاها إلى حصنه، وعندما جاءت، قال لها: (لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها، لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش)[2] فقالت له: انزل، قال: نحي عنك أصحابك، ففعلت، فقال: اضربوا لها قبة وجمروها، ففعلوا ودخلت القبة فنزل مسيلمة إليها، وقال: ليقف هنا عشرة، وهنا عشرة. وأخذ يدارسها فقال: ما أوحي إليك؟ قالت: هل تكون النساء هن البادئات، ولكن أنت قل ما أوحي إليك؟ قال: (ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وخشب)، قالت: وماذا قال أيضًا؟ قال: (أوحى إليّ أن الله خلق النساء أفراجًا، وجعل الرجال أزواجًا..). قالت: أشهد أنك نبي،

---

(١) ابن الأثير، ج ٣ ص ٣٦٥ الطبري، ج ٣ ص ٢٧٢

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٤ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٦ عبد الوهاب النجار، ص ٤٩

قال: هل لك أن أتزوجك فآكل بقومي وقومك العرب)[1]، قالت: نعم. فتزوجها وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا: ما عندك؟ قالت: كان على حق؛ فتبعته وتزوجته، قالوا: فهل أصدقك شيئًا؟ قالت: لا. قالوا: ارجعي إليه فقبيح بمثلك أن ترجع بغير صداق. فرجعت، ولما رآها مسيلمة قال: مالك؟ قالت: أصدقني صداقًا يليق بي. قال: من مؤذنك؟، قالت: شبث بن ربعي الرياحي، قال: عليّ به. فجاء، وقال له مسيلمة: نادي بأصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد، صلاة الفجر وصلاة العشاء، ولها نصف غلال اليمامة الآن، وتجمع النصف الثاني، فعيَّنَتْ لجمعه الهذيل وعقه، ومعهم زيادًا، ثم سألته أن يسلفها نصف العام ففعل، وعادت إلى الجزيرة حتى عام الجماعة ٤١هـ زمن معاوية بن أبي سفيان حيث أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت إلى البصرة، وماتت هناك[2]

٧ - مسيلمة الكذاب:

هو مسيلمة بن تمامة بن كبير بن حبيب الحنفي "أبو تمامة" لُقب بالكذاب، ولد ونشأ في اليمامة في بلدة الجبلية في وادي حنيفة شمال الرياض، عُرف في الجاهلية برحمن اليمامة.

أسلم في السنة العاشرة للهجرة عندما وفد مع بني حنيفة إلى النبي (ﷺ) وقال وقتها: (إن صار الأمر لي من بعده تبعته)، وكان بنو حنيفة يطمعون بالنبوة لأنهم قالوا للنبي (ﷺ): (إن شئت خلَّينا الأمر وبايعناك على أنه لنا من بعدك)، وعندما جاء مسيلمة إلى النبي (ﷺ) ومعه ثابت بن قيس بن شماس كان يحمل النبي (ﷺ) بيده جريد، فقال لمسيلمة أمام أصحابه: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتك، ولن أتعدى أمر الله فيك)، وانصرف وكان النبي (ﷺ) قد رأى في منامه ما رواه: (بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما، فطارا، فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان بعدي)، فكان أحدهما الأسود العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.[3]

---

(١) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٩ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٦ عبد الوهاب النجار، ص ٥٠

(٢) ابن الأثير، ج٣ ص ٣٧٠ المسعودي، ص ٢٧٠

(٣) البخاري، ج ٥ ص ٢١٦ مسلم، ١٧٨١ الخضري بك، ص ٣٠

عاد مسيلمة ومن معه إلى منازلهم في اليمامة بين نجد والبحرين، وادعى النبوة وأشاع أنه شريك مع محمد (ﷺ) في النبوة، فاتبعه قومه، وكتب إلى النبي (ﷺ) يقول: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها الآخر، ولكن قريش قوم لا يعدلون. والسلام عليكم)[١] فكتب إليه النبي (ﷺ)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

(فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[٢] وكان ذلك بعد حجة الوداع. كان مسيلمة مدفوعًا في ادّعائه النبوة بالغرور والغيرة من قريش وضعف إيمانه بالله وبرسالة النبي (ﷺ) وبوجود الجهلة الذين أيَّدوه وناصروه.[٣]

وبعد وفاة النبي (ﷺ) عقد أبو بكر اللواء لعكرمة بن أبي جهل المخزومي الذي أسلم بعد فتح مكة المكرمة، وسيَّره لقتال مسيلمة في اليمامة، وأتبعه بشرحبيل بن حسنة الكندي حليف بني زهرة (أبوه قاسم بن عبد الله)، أسلم بمكة المكرمة، وهاجر إلى الحبشة. أوفده النبي (ﷺ) إلى مصر، قاد جيشًا لفتح الشام، توفي بطاعون عمواس عام ١٨ / هـ[٤].

تعجل عكرمة ولم ينتظر شرحبيل؛ ليكون له الفضل في القضاء على مسيلمة، وهاجم قوات مسيلمة ولكنه فشل في التغلب عليها، وأرسل إلى أبي بكر (رضي الله عنه) يخبره بهزيمته؛ مما أغضب أبا بكر، فأرسل له رسالةً، قال فيها:

(يا ابن أم عكرمة، لا أرينك ولا تراني على حالها، لا ترجع فتوهن الناس، امضِ على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة في قتالهم أهل عمان ومهرة، ثم ساعد المهاجر بن أبي أمية في اليمن وحضرموت لقتال الأسود العنسي)[٥].

---

(١) البلاذري، ج ١ ص ١٠٦ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٣٠

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١ ص ١٠٧ سورة الأعراف، الآية ١٢٨ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٣١

(٣) د. علي حسن إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٢١

(٤) مصطفى بدر، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ١٩٨

(٥) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧٥

وكان شرحبيل قد سمع بما حلَّ بعكرمة، فلم يتابع المسير، وانتظر مجيء خالد بن الوليد؛ حتى ينضم إليه لقتال مسيلمة، ثم يتجه لمساعدة عمرو بن العاص في قتاله قضاعة، كان مع خالد بن الوليد ثابت بن قرة والبراء بن فلان على الأنصار، وأبو حذيفة وزيد بن عمر بن الخطاب على المهاجرين، وعلى كل قبيلة رجل منها، وكان مع مسيلمة الهديل وعقه، وزياد ومجاعة بن مرارة ونهار، والرجال بن عنفوة، وهذا الأخطر لأنه كان قد هاجر إلى النبي (ﷺ)، وقرأ القرآن وتفقه في الدين، فأرسله النبي (ﷺ) معلمًا لأهل اليمامة ليشاغب على مسيلمة، ويقف مع المسلمين، ويشد من أزرهم، لكنه أصبح الأخطر على بني حنيفة من مسيلمة نفسه؛ لأنه شهد لمسيلمة بأنه سمع محمدًا (ﷺ) يقول: (إني أشركت مسيلمة معي)، فصدقوه ووقّروه.

قال أبو هريرة: جلست مع النبي (ﷺ) في رهط، ومعنا الرّجّال بن عنفوة، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إن فيكم لرجلًا ضرسه في النار أعظم من أحد، فهلك القوم - أي أهل اليمامة - وبقيت أنا والرجّال، فكنت متخوفًا لهذا، حتى خرج الرّجّال مع مسيلمة، وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرّجّال أعظم من فتنة مسيلمة[١]. وقد خرج كلّ هؤلاء مع مسيلمة مقابل خرجٍ أخرجه لهم على أن يلحقوا به سجاح، وقد بلغ عدد جيش مسيلمة أربعين ألفًا.

ولما علم مسيلمة وبنو حنيفة بمجيء جيش خالد بن الوليد عسكروا في ريف اليمامة، واستنفروا الناس، فتقدم شرحبيل بن حسنة مستعجلًا، ومعه ثمامة بن أثال، فهزمهم مسيلمة، وعندما وصل خالد بن الوليد قادمًا من المدينة المنورة بعد أن قابل أبي بكر، وشرح له الظروف التي أدت إلى قتل مالك بن نويرة وجماعته وزواجه من امرأة مالك، وجه اللوم لشرحبيل؛ لأنه تسرع في قتال مسيلمة، ثم استعد للقاء مسيلمة، وسلك ثنية في جبل اليمامة (طويق)، وكان على جناحي جيشه زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأبو حذيفة بن عتبة، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حنيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، وسار ضرار بن الأزور من جهة الشمال، ونزلوا من جهة (ملهم إلى عقرباء)، وحدثت معركة حامية مع بني حنيفة المؤيدين لمسيلمة، فتراجع المسلمون في بداية المعركة حتى وصل المرتدون إلى معسكر خالد، وأرادوا أخذ

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٨٧

زوجته، فمنعهم مجاعة بن مرارة - وهو من سادة بني حنيفة - ، كان خالد قد قتل أفرادًا من بني حنيفة، واستثنى منهم مجاعة لشرفه فيهم، لذلك قال لهم مجاعة: (الحرة هي، ومنعهم من أسرها..)..

استيقظ المسلمون من صدمة الهزيمة، وتجمعوا ثانية بعد أن نزلت عليهم السكينة، وحمل خالد بن الوليد على المرتدين فردَّهم إلى أماكنهم البعيدة في عقرباء[1]، حيث جرت المعركة الفاصلة بين قوات مسيلمة وجيش المسلمين، فانكشف المرتدون، وطلب خالد من مسيلمة المبارزة فبرز له، ولما اشتد الأمر على مسيلمة ولّى هاربًا، ولحقه من تمكن من أصحابه اللحاق به، وقد قتل من المرتدين سبعة آلاف، فنادى خالد بالمسلمين ليحملوا على من بقي من المرتدين الذين تجمعوا ثانية في بستان كان لمسيلمة يسمى (حديقة الرحمن)، وذلك لحصانته وخصبه، فقال البراء بن مالك - وهو من الأنصار - : (ألقوني إليهم في الحديقة فألقوه، فقاتل الحرس عند الباب حتى تمكن من فتحه، ودخل المسلمون البستان، وأكثروا القتل في بني حنيفة، وكان من بين القتلى مسيلمة الكذاب، وقد قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد الطلب في غزوة أحد، وشاركه في قتله رجل من الأنصار، وقد تم قتل (محكم اليمامة بن طفيل) على يد عبد الرحمن بن أبي بكر، وكذلك تم قتل (الرّجّال) على يد زيد بن الخطاب[2] وبلغ عدد القتلى من بني حنيفة في البستان سبعة آلاف، لذلك سمي (بحديقة الموت) وتابع المسلمون الفارِّين من بني حنيفة، فأسروا أعدادًا منهم، وقتل من الهاربين سبعة آلاف، أما شهداء المسلمين من أهل المدينة المنورة (مهاجرين وأنصار) ثلاثمائة وستون شهيدًا، ومن غير أهل المدينة ستمائة[3] وعدد كبير من حفظة القرآن الكريم، ومن صحابة رسول الله (ﷺ) كزيد بن الخطاب وطفيل بن عمرو الدوسي، وعباد بن بشر، وثابت بن شماس، وغيرهم[4]، عندها جاء مجاعة بن مرارة إلى خالد بن الوليد، وقال له: (هلم أصالحك على قومي على ما

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤ ص ١٣٥ (أرض في اليمامة لقوم من بني عامر بن ربيعة تسمى اليوم الجبيلة).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١ ص ١٠٧ الطبري، ج ٣ ص ٢٧٩

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٨٠ ابن الأثير، ج ٣ ص ٢٧٨

(٤) خليفة بن خياط، ص ١٠٩

دون النساء) "أي ما عندهم من ذهب أو فضة أو سلاح"، فانطلق كأنه يريد أن يشاور قومه، وأفرغ السلاح على النساء اللاتي وقفن على الأسوار، ثم رجع إلى خالد، وقال: (رفضن إجازة ذلك)، فنظر خالد إلى الحصون فوجدها قد امتلأت بالمقاتلين المسلحين، والمسلمون أنهكتهم الحرب، وقُتل منهم أعدادٌ كثيرة وفشَتْ فيهم الجراحات، فجنح للسلم وصالحه على الصفراء والبيضاء[1] ونصف السبي والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية، لكنهم أبَوْا فصالحهم على الرُّبع فقبلوا، وفتحت الحصون فلم يجد فيها خالد إلا النساء والمستضعفين، فقال لمجاعة: خدعتني، فقال: إنهم قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت. وبعد هذا الصلح، أرسل خالد وفدًا لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يخبره بإسلام القوم، ثم التقى بهم، وسألهم عن أسجاع مسيلمة، فقصوها عليه، وهذه مقتطفات منها:

- (يا ضفدع، نقي نقي لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، لكن قريش قوم لا يعدلون).

- (والليل الأطحم أي "سواد الليل"، والذئب الأدلم "الأسود الطويل"، والجذع الأزلم "الدهر"، ما انتهكت أسيد من محرم).

- ولما عادت الأحلاف، وهم: سيحان ونمارة ونمر والحارث بن جروه للعدوان على حرم مسيلمة، قال: انتظر الذي يأتيني، وقال: والليل الدامس، والذئب الهامس "الشديد"، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس، فقالوا: أما النخيل مرطبة فقد جدوها "قطعوها"، وأما الجدران يابسة فقد هدموها، فقال: اذهبوا وارجعوا، فلا حقّ لكم.

- وقال عن بني تميم: (إن بني تميم قومٌ طهر لقاح، لا مكروهة عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم للرحمن).[2]

- وقال:(الشاة وألوانها، وأعجبها السود، وألبانها والشاة السوداء، واللبن الأبيض إنه لعجب محض، وقد حرم المذاق فما لكم لا تجمعون).

- وقال:(والمبذرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، أهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر آووه، والباغي فناوئوه).

---

(١) معناها الذهب والفضة.

(٢) طهر اللقاح: أي لن يدينوا للملوك ولم يصبهم سبي.

– وقال عمير بن طلحة النمري عن والده، أنه جاء اليمامة فقال أين مسيلمة؟ قالوا: مع رسول الله؟ فقال:لا، حتى أراه فلما جاءه قال: أأنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك، قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ قال في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب، وأن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر).

بعد أن سمع أبو بكر بعضًا من الأسجاع[١]، قال: سبحان الله، هذا الكلام ما خرج من إلٍ ولا بَرْ، فأين يذهب بكم عن أحلامكم؟ وردّ الوفد إلى قومه سالمًا.

٨ – ردة أهل البحرين:

كان الهدف من ردة أهل البحرين استردادَ الملك الخاص بآل المنذر، وقد ملكوا "المنذر بن النعمان" وكان يُسمى الغرور، لكنه قال: إنه المغرور. وكانت البحرين مقرًّا لكثير من قبائل ربيعة، أبرزها عبد القيس بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ومنهم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هدب بن أقصى، وقد وفد أهل البحرين إلى النبي (ﷺ) وأعلنوا إسلامهم، فأمَّر عليهم المنذر بن ساوي العبدي التميمي[٢]

وبعد وفاة النبي (ﷺ) ووفاة المنذر ارْتد أهل البحرين، وانقسموا، فظلت بنو بكر على ردّتها، ورجعت عبد قيس إلى الإسلام في قرية (جُواثا) وذلك بجهود الجارود بن عمرو بن حنش بن يعلي العبدي، الذي كان نصرانيًّا، ثم أسلم في عهد النبي (ﷺ) وتفقه في الدين، فجمع هؤلاء القوم من المرتدين من عبد قيس؛ لأنهم قالوا: (لو أن محمدًا نبيًّا لم يمت)، وقال لهم: (يا معشر عبد قيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه، ولا تجيبوني إن لم تعلموه، قالوا: سلْ عما بدا لك؟ قال: تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعلم، قال: تعلمون ذلك أم ترونه، قالوا: بل نعلمه، قال: فما فعلوا وأين هم؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمدًا (ﷺ) مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنك سيدنا وأفضلنا) وثبتوا على الإسلام[٣]

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٠

(٢) الأغاني، ج ١٥ ص ٢٥٦ الطبري، ج ٣ ص ٣٠٥ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٧٨

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٦ الخضري بك، ج ١ ص ١٨٠ مصطفى بدر، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ١٩٨

أما بنو بكر فقد ارتدوا عن الإسلام إلا الجارود بن يعلي ومن تبعه، كان يقود المرتدين من بني بكر ومن لم يزل كافرًا "الحطم بن ضبيعة" أخو بني قيس بن ثعلبة، وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو من بني بكر بن وائل، فنزل بهم في القطيف وهجر، وحاصر أصحاب الجارود من بني قيس في جواثي لمدة شهر، فأرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) العلاء الحضرمي (وهو من حضرموت، وولد في مكة المكرمة، وتربى وأسلم فيها) فولاه النبي (صلى الله عليه وسلم) البحرين؛ لأنه يعرف أحوال تلك البلاد منذ أن كان عاملًا يجمع الصدقات هناك[1] فلما وصل حدود اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي، ومعه مسلمة بن حنيفة من بني سحيم، وقيس بن عاصم المقري، فأرسل العلاء أمرًا إلى الجارود ليجمع عبد قيس، ويأتي جماعة الحطم في (هجر)، وسار هو ومن معه إلى هجر من جهة ثانية، فتوقفت الإبل ونفرت بما عليها من زاد وأمتعة للجيش، فظل المسلمون على الأرض بثيابهم فقط، وكان الوقت ليلًا فأصابهم الهلع من ذلك، فجمعهم العلاء، وقال لهم: (أيها الناس، ألستم مسلمون؟ ألستم مجاهدون في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: أبشروا، والله لا يخذل من كان في مثل حالك)، ونودي لصلاة الصبح فصلى الناس ثم جثا العلاء على ركبتيه وجثا الناس، وأخذ يدعو الله تعالى أن يفرج الهم حتى طلعت الشمس، فنظر الناس إلى السراب، وإذ بأشعة الشمس تجعله يلمع فساروا إليه، وإذ هو غدير ماء، فمشى العلاء الحضرمي ومعه الناس إلى الغدير، فشربوا واغتسلوا، وعادت الإبل دون أن ينقص مما كانت تحمل شيئًا، فسار الركب إلى (هجر) وخندق المسلمين والمرتدون، ثم تناوشوا وتقاتلوا مرةً تلو مرة لمدة شهر. وفي ليلةٍ، سمع المسلمون أصواتً من معسكر المرتدين، فأرسلوا عبد الله بن حذيفة ليستطلع الخبر، فتسلل إلى داخل المعسكر، وعَرف أن القوم سكارى، فعاد مسرعًا وأخبر المسلمين بما عرف، فكانت فرصتهم للهجوم فهاجموهم، وأعملوا فيهم السيوف، فهرب من تمَكّن منهم الهرب، وتم قتل أعدادٍ كثيرة، وأسر أعدادٍ أخرى، واستولى المسلمون على ما في معسكر المرتدين من متاع.

أما الحطم، فإنه ظل في حيرة ودهشة، وحاول أن يركب فرسه ليهرب، فانقطع الركاب به ومرّ به عفيف بن المنذر من بني عمرو بن تميم وهو يستغيث فعرفه، وأوهمه أنه سيساعده في امتطاء فرسه، فقطع له رجله وتركه يتعذب ومضى، فكان يتمنى الموت ليتخلص من آلامه، حتى أنه كان يقول لكل من يمرُّ عنه: أنا الحطم، هل لك أن تقتلني؟ ولكنهم لا يستجيبوا

---

(١) العلاء أول مسلم يركب البحر للغزو، مات وهو في طريقه إلى البصرة عام ٢١ هـ

لندائه حتى مرَّ عنه قيس بن عاصم فقتله[1] ولحق قيس بأبجر فطعنه في العرقوب فقطع العصب، وأسر عفيف بن المنذر الغرور بن سويد فتكلمت الرباب به، وأجازته، فأسلم وبقي في (هجر)، وتم توزيع الأنفال وتابع المسلمون الفارّين من المرتدين الذين ركبوا البحر متجهين إلى (دارين، وهي جزيرة تبعد عن الساحل مسيرة يوم وليلة بالسفن)، وعندما وصل المسلمون إلى (دارين) اشتبكوا مع المرتدين وهزموهم، وكسبوا أنفالًا كثيرة حتى بلغ نفل الفارس ستة آلاف، والراجِلُ ألفين، وقد كان مع المسلمين راهبٌ من هجر فأسلم، فسألوه ما دعاك إلى أن تعلن إسلامك؟ قال: ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها إن لم أفعلها: فيض في الرمال، وتمهيد أمواج البحار، ودعاء سمعته في عسكركم في الهواء من السحر، قالوا: وما هو؟ قال: (اللّهُمَّ أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والحي الذي لا يموت، وخالق ما يُرى وما لا يُرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمتَ - اللّهُمَّ - كلَّ شيء بغير تعلم).

٩ - ردة أهل عمان، ومهرة:

١ - ردة أهل عُمان:

أسلم أهل عمان في حياة النبي (ﷺ)، فولَّى عليهم الأخوين جيفرا وعباد أولاد جلندا، وقد ظهر في عُمان (ذو التاج) لقيط بن مالك الأزدي الذي ادّعى النبوة، وكان يُسمى في الجاهلية الجلندي، وقد تغلب على أهل عُمان مرتدًّا، وتبعه كثير من أهلها مما اضطر الأخوين جيفرا وعباد إلى اللجوء للجبال والبحر، وأرسلوا إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يخبروه بما حصل، ويطلبوا منه المدد والعون، فأرسل أبو بكر (حذيفة بن محصن الغلفاني من حمير، وعرفجة بن هرتمة البارقي من الآزد إلى مهرة) وأوصاهما عندما تقتربا من عمان أن يراسلا جيفرا وأخيه عبّاد لقتال (ذي التاج) وعززهما بعكرمة بن أبي جهل، فلحق بهما قبل أن يصلا عُمان، ولما أصبح الجميع على مقربة من الأخوين في مكان يُسمى (رخاما) راسلاهما، فقدما وعسكر الجميع في (صحار) عاصمة عُمان، ولما علم لقيط بذلك جمع أصحابه، وجعل عائلاتهم خلفهم حتى لا يفكروا في الهروب، وعسكر هو في (دبا) وهي قصبة عُمان وسوقها العظمى، فكاتب المسلمون القيادات التي تساعد لقيطًا، وبدؤوا (بسيد بني جديد) فترك لقيطًا وانضم إليهم، واشتبك الطرفان وكاد لقيط أن يستعلي على الناس

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٨ ابن خلدون، ج ٢ ص ٧٦ خليفة ابن خياط، ص ١١٦ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٨٠

لولا أن الله أمد المسلمين (ببني ناجية وعليهم الخريت بن راشد[1]، وعبد قيس وعليهم سيحان بن صوحان، وشواذب عثمان من بني ناجية) فقوَّى الله بهم المسلمين، وهزم لقيطًا وقومه المرتدين، وقتل في المعركة أكثر من عشرة آلاف من المرتدين بينهم لقيطًا، وتم سبي الذراري، وامتلك المسلمون السوق العظمى بما فيها، وقسمت الأموال على المسلمين، وأرسل خُمسها مع عرفجة إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، والخُمس ثمانمائة رأسًا، وظل حذيفة في عُمان؛ حتى تستقر الأمور، ويتوطّد الأمن.

٢ - خبر مهرة في النجد:

سار إليها عكرمة بن أبي جهل ومعه أتباعه من بني ناجية، والأزد وعبد قيس وسعد من بني تميم، ولما وصلها وجدَ فيها زعيمين يتنافسان على الزعامة، وهما: شخريت، وهو رجل من بني شخراة، ومعظم مهرة انقادت إليه وهو في (منطقة الساحل) وأتباعه أقل عددًا، والزعيم الثاني هو المصبح أحد بني محارب ومعه كثير من الناس، وكان مستقرًّا في منطقة النجد المرتفعة (في أرض مهرة جيروت)، فلما رأى عكرمة قلة عدد أتباع شخريت دعاه للرجوع إلى الإسلام فأجابه؛ مما أوهن جماعة المصبح وأخافهم، ثم أرسل للمصبح يدعوه للإسلام لكنه اغتر بكثرة أنصاره وأتباعه، فسار إليه عكرمة ومعه شخريت، والتقوا بالمصبح وقواته في النجد، فاقتتل الطرفان قتالًا شديدًا حتى قتل المصبح وهزم أتباعه، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، فأرسل عكرمة الخمس من الأنفال لأبي بكر (رضي الله عنه) مع شخريت وهو ألفي نجيبة، وقسّم الأربعة أخماس على المسلمين، وبايعت القبائل بمختلف أطيافها عكرمةَ على الإسلام، فأرسل(السائب) من بني عابد بن مخزوم إلى أبي بكر (رضي الله عنه) يُعلِمه بذلك، وكان شخريت قد وصل بالخمس.[2]

١٠ - اليمن والأسود العنسي:

أ - ردة اليمن الأولى:

عندما فُتحت اليمن في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولّى عليها باذان الفارسي عام ٧هـ منذ أن اعتنق الإسلام حتى وفاته، وقد كان عاملًا للأكاسرة عليها قبل الإسلام،

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣١٢ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨١ عبد الوهاب النجار، ص ٥٨

(٢) ياقوت الحموي، ص ٣٣٢ الطبري، ج ٣ ص ٣١٦ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٢

فاتخذ من صنعاء مركزًا له، وبعد وفاته قسّم النبي (ﷺ) اليمن إلى مناطق، وجعل لكل منطقة أميرًا كالآتي:

- صنعاء، ولّى عليها شهر بن باذان.
- مأرب، ولّى عليها أبا موسى الأشعري.
- همذان، ولّى عليها عامر بن شهر الهمذاني، وهي شرق اليمن.
- عك والأشعريون، ولّى عليها الطاهر بن أبي هالة.[١]
- ما بين نجران ورمع وزبيد، ولّى عليها خالد بن سعيد بن العاص.
- نجران، ولّى عليها عمرو بن حزم.
- حضرموت، ولّى عليها زياد بن لبيد البياضي.
- السكاسك والسكون، ولّى عليها عكاشة بن ثور.[٢]
- وولّى على الجند، يعلي بن أمية.
- وولّى على بني معاوية من كندة (المهاجر بن أبي أمية) لكنه لم يلتحق بعمله بسبب وفاة النبي(ﷺ) فأناب عنه زياد بن لبيد.[٣]
- وكان معاذ بن جبل يتنقل معلمًا ومرشدًا بين اليمن وحضرموت، وبعد أن رتّب النبي (ﷺ) أمور اليمن وقبل وفاته، ارتد عن الإسلام وتنبأ في اليمن الأسودُ العنسي، وهو (عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ولقبه ذي الخمار)، وكان قد أسلم عندما جاءت وفود العرب من اليمن إلى النبي (ﷺ) تُعلن إسلامها، وردَّةُ الأسود هي حنين للجاهلية؛ لأنه كان كاهنًا، وهي أول ردة في الإسلام أيام النبي (ﷺ)[٤]، والتي أبرزت العصبية القبلية والطموح للزعامة وضعف الإيمان بالله ورسوله، وقد استجابت للأسود العنسي قبيلة مذحج عندما وثب على نجران وأخرج منها عاملها عمرو بن حزم، كذلك

(١) الخضري بك، ص ٣٢ (بنو عك بين زبيد ورمح وعك هو ابن عدنان، أما الأشعريون كانوا شمال زبيد ينتسبون إلى أشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان)

(٢) قبيلتان من كندة، شمال حضرموت.

(٣) هو أخو أم المؤمنين أم سلمة.

(٤) الطبري، ج ٣ ص ٢١٧ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨١

أخرج عمرو بن سعيد بن العاص فلحقا بالمدينة المنورة، أما باقي العمال الذين عينهم النبي (ﷺ) فقد لجئوا إلى المسلمين الذين تمسكوا بإسلامهم هناك.

تابع الأسود العنسي مسيره إلى صنعاء ومعه سبعمائة من رجاله، وتمكن من قتل شهر بن باذان، وهزم أتباعه من الأبناء، واستولى على المدينة، وتزوج امرأةَ شهرٍ، وسيطر على المنطقة ما بين صنعاء وحضر موت جنوبًا، وأعمال الطائف شمالًا، والبحرين شرقًا[1]، هكذا استفحل أمر الأسود العنسي، فخرج معاذ بن جبل واستنجد بأبي موسى الأشعري بمأرب، و سارا معًا إلى حضر موت، فنزل معاذ عند السكاسكة، ونزل أبو موسى عند قبيلة السكون، أما الطاهر بن أبي هالة فجاء من (منطقة عك والأشعريين في تهامة) ومعه سروق العلي، ونجح في هزيمة أنصار الأسود في (عك) ومن ساندهم من الأخابث.

وصلت الأنباء إلى رسول الله (ﷺ) فأرسل إلى اليمن فيروز وذادويه، ومن الأبناء إضافة لأبي موسى الأشعري ومعاذ وطاهر، وأمر الجميع بقتال الأسود العنسي والقضاء على ردته، فقاموا بذلك. وقد اهتم بالأمر بشكل واضح كلٌّ من فيروز وذادويه؛ لتعاطفهم مع زوجة شهر بن باذان، واسمها (أزاد) التي كانت تحقد على الأسود؛ لأنه قتل زوجها. وقد تمكن فيروز من قتل الأسود، وعند الصباح نادوا بشعائر الإسلام والمسلمين - وهي رفع الآذان - ، وكان ذلك ليلة وفاة النبي (ﷺ)[2]، فصلى معاذ بالناس في صنعاء بعد مقتل عاملها (شهر).

ب - ردة اليمن الثانية:

بعد وفاة النبي (ﷺ) ظلت جماعة من أتباع الأسود العنسي المرتدة يقودها قيس بن عبد يغوث المكشوح[3]، وكان قائدًا لجيش الأسود، فكاتب المهزومين من جيش الأسود وجمعهم تحت قيادته، ونجح في قتل أحد كبار الأبناء لذادويه، وكان قد قتل ذادويه عندما دعاه إلى مأدبة طعام، أما (فيروز وحشنش) فقد تمكنا من النجاة من غدر قيس؛ لأنهما احتميا بقبيلة خولان، فرجع قيس إلى صنعاء واستأثر بها وشرّد عيال الأبناء، وأخرجهم من اليمن، بعد أن تخلى عنهم (ذي الكلاع) وأصحابه، فأرسل قسمًا إلى عدن بحرًا، وهم عيال ذادويه، وقسم آخر برًّا وهم عيال الديلمي، والقسم الثالث هرب إلى فيروز،

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٠ البلاذري، ص ١١٩ (الأبناء هم: أولاد الفرس في اليمن).

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٢

(٣) المكشوح: لقب عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمر بن عامر المرادي، الطبري، ج ٣ ص ٢٣٣

فاستنصر فيروز (ببني عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقبيلة عك)، فأرسلوا قواتهم وعلى رأسهم بنو معاوية الذين تعرضوا لخيل قيس وأعادوا الأبناء وهزموا قيسًا، في هذا الوقت أرسل أبو بكر خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسالةً إلى (عمير بن أفلح ذي مران وسعيد بن العاقب ذي زود وحوشب بن ظليم وشهر ذي مناف إلى ذي الكلاع وأصحابه الذين تخلوا عن نصرة الأبناء جاء فيها:

(أعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدّوا معه فإني ولّيته). وبناءً على ذلك، استبق قيس الأحداث وفرَّق الأبناء، ووصل المدد من أبي بكر (رضي الله عنه) مع المهاجر بن أمية ولوائه الذي عقده له أبو بكر (رضي الله عنه) وانضم إليه خالد بن أسيد وعبد الرحمن بن أبي العاص وجرير بن عبد الله البجيلي وعبد الله بن ثور، وتبعهم عكرمة بعد أن فرغ من عُمان ومهرة، وتم قتال جماعة قيس بن يغوث، وهزيمتهم، وتم أسر قيس وعمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي ارتد وتبع الأسود العنسي، وأرسل بهما إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال: (يا قيس، قتلت عباد الله واتخذت المرتدين عونًا دون المؤمنين)، فأنكر قتله لذادويه؛ لأن ذلك تم سرًّا، ولا يوجد دليل عليه، ثم قال لعمرو بن معد يكرب: (أما تستحي أنك مهزوم وأسير، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله)، فقال: (لا جرم لأقبلن ولا أعود)، ورجعا إلى عشائرهما مؤمنين، وقد كان لعمرو بن معد يكرب حُسن البلاء في فتوح نهاوند.

تابع أبو المهاجر بن أبي أمية من بقي من جنود الأسود في كل أنحاء صنعاء، حتى لم تقم لهم قائمة.[١]

١١ - ردة كندة في حضرموت:

أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) المهاجر بن أبي أمية عاملًا على كندة "بني أمية"، بعد أن أعلنوا إسلامهم، لكنه لم يلتحق بسبب وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وناب عنه زياد بن لبيد.

ارتد أهل كندة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي هذه الفترة ارتد الأسود العنسي، وكانت ردة كندة بسبب الاختلاف على الاستمرار بدفع الصدقات وأداء الزكاة، كما كانوا يفعلون في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) أم يمتنعوا عن ذلك، وقد خاطبهم شرحبيل بن السمط وابنه قائليْن لهم: (إنّ الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا إلى أوضح منها مخافة العار،

(١) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٦ ابن خلدون، ج ٢ ص ٦٦ الخضري بك، ج ١ ص ١٧٩ محمد شاكر، ٧٨

فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل ومن الحق إلى الباطل القبيح، اللّهُمَّ إنا لا نمالئ قومنا على ذلك)، فتشكلت جماعة تؤيد دفع الصدقات ولا تريد أن تمنعها وهم قسم من أهل حضرموت ومعهم قبائل السكون، هذه المجموعة انضمت إلى قوات زياد بن لبيد الإسلامية، وقسم آخر لا يريد أداء الصدقات، ويتزعمهم حارثة بن سُراقة بن معد بن يكرب "يُلقب أبو السمط" ومعه الحارث بن معاوية وبنو عمرو بن معاوية، ومن أطاعهم من قبيلة السكاسك.

حاول زياد مع المتمردين "بني معاوية وحلفائهم" كي يعودوا عن قرارهم لكنهم رفضوا، فاضطر زياد لمهاجمتهم، وحدثت معركة قاسية بين الطرفين في حصن (هجر الزرقان في كندة) قتل فيها أعدادٌ كثيرة من بني معاوية، وهرب ملوكُهم، وعاد المسلمون بالنصر وبالغنائم والسبي.

تجمع الهاربون في حصن (حجر النجير) ورمَّمُوه وحصَّنوه، وقد كتب زياد إلى المهاجر يستحثه على القدوم، وعين عكرمة بن أبي جهل قائدًا للجند، فحاصرهم في حصنهم وأرسل لهم الحصين بن نمير السكوني يدعوهم للصلح وتسليم ما لديهم من السلاح والعودة للحق، ولكنهم رفضوا ذلك فاجتمعت قوات المسلمين والتقى زياد بعكرمة وحاصروا (حصن النجير) وأجبروا بني الحارث على الخروج والقتال، لكنهم عادوا إلى الحصن ثانية، حتى أرسل الأشعث بن قيس يطلب الصلح وفتح باب الحصن للمسلمين والأمان لتسعة أشخاص من الوجهاء، ونسي أن يكتب اسمه، وافق عكرمة وزياد على ذلك، وتم فتح باب الحصن ودخل المسلمون وقتلوا من قاتلهم من بني معاوية وسبوا النساء وغنموا الكثير، وبذلك انتهت ردة كندة ومن معها في حضرموت، وقد نفَّذ زياد وعكرمة وعدهما بالأمان للوجهاء التسعة، واحتاروا بأمر الأشعث الذي نسي أن يكتب اسمه مع القائمة، أراد المهاجر قتله فأشار عليه عكرمة أن يؤجل قتله، ويرسله إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال له: (أبو بكر أعلم بالحكم عليه منّا)، فأرسله إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقد كانت نساء المسلمين والسبايا يلعَنّه من حضرموت حتى وصل إلى المدينة المنورة، وسمته نساء قومه "عرف النار، أي: الغادر"، وعندما قابله أبو بكر قال له: (ما تراني أصنع بك، فإنك قد فعلت ما علمت)، قال: (تمنَّ علي، فتفكني من الحديد، وتزوجني أختك، فإني قد راجعت وأسلمت)، فقال أبو بكر:(وأنا قبلت، فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة، وظل في المدينة المنورة حتى فتح المسلمون العراق).

هكذا عادت حضرموت بكل من فيها من قبائل تحت راية الإسلام من جديد بجهود عباد الله المخلصين، وبقي في اليمن المهاجر بن أبي أمية وفيروز، وفي حضرموت زياد بن لبيد وعبيدة بن سعد.

ج - نتائج الردة:

١ - لاشك أن القضاء على الردة والمرتدين لم يترك مجالًا لأحد كي يفكر في الارتداد من جديد، مما ثبّت الدين الإسلامي منهجًا ودستورًا للمسلمين في كل البلاد التي انتشر فيها الإسلام، لاسيما أن قادة الردة بمختلف أفكارهم لم ينجحوا في استبدال الإسلام أو جزءٍ مما جاء به الإسلام؛ لأنهم لا يملكون أفكارًا ولا مبادئ تقف أمام ما جاء به الإسلام.

٢ - توحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة ضمن دولة مركزية لها خليفة واحد، وولاة يأتمرون بأوامره، ويطبقون قراراته بما يرضي الله (ﷻ).

٣ - أوجدت تجانسًا قام على أصول وثوابت إسلامية بين القبائل العربية مع الاحتفاظ بأسمائها إلا أن جوهر تلك القبائل الفكري أصبح هو الدين الإسلامي ومبادئه وليس العصبيات.

٤ - تثبيت دعائم الخلافة الإسلامية التي سارت بعون الله بنجاح وقوة ترفع راياتها في كل الاتجاهات.

٥ - كشفت الكفاءات العسكرية عند المسلمين، ومدى قدراتهم القتالية التي وقفت أمام أكبر دولتين آنذاك الفرس والروم، وأمام عرب الجاهلية الشرسين والمتخلقين بأخلاق الصحراء القاسية.

٦ - اختلاط العرب وتعرفهم على بعضهم، واطمئنانهم لأنهم من جنس واحد، ويعيشون ظروفًا متشابهة؛ أدى لاستقرار بعض القبائل في مناطق المرتدين؛ لتصبح أكثر حيوية وفاعلية؛ لأن شريان الإسلام قد امتد ليروي صحراء الجاهلية، وينبت أزهارًا طيبة الرائحة بدل الأشواك الصحراوية التي تتغذى عليها الإبل فقط، ونشرَ أسمى الأفكار وأنبل المبادئ.(١)

٧ - لم تصب الردة جوهر العقيدة الإسلامية؛ لأن دوافعها سياسية كالبحث عن

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١١٧

الزعامة والشهرة أو اقتصادية للحصول على الأموال والغنى وهي دوافع غير مقنعة ولا تستند على أسس تقنع بها من ارتد ليصل إلى مرحلة الإيمان بها ثم التضحية من أجلها، لذلك عندما داهمه الخطر عاد إلى صوابه وإلى جادة الإسلام المنقذ والملاذ الذي به يتم الهدى والصلاح وتتحقق الآمال.

د - جمع القرآن الكريم:

استغرق نزول القرآن الكريم على رسول الله (ﷺ) أكثر من عشرين عامًا، وكان يكتب على سعف النخيل والرقاع والجلود....، وبعد وفاة النبي (ﷺ) بدأت حركة الردة التي استشهد فيها عددٌ كبير من الصحابة وحفظة القرآن الكريم، ففي معركة اليمامة استشهد سبعون صحابيًّا من حفظة القرآن الكريم، وهذا لفت انتباه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأن عدد القراء وحفظة القرآن الكريم أصبح قليلًا، فذهب إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد أن أصبح خليفة للمسلمين، وقال له: (إن القتل قد كثر واستمر بقراء القرآن الكريم وحفظته يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستمر القتل بالقرّاء فيذهب من القرآن الكثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن الكريم)[١] عمل أبو بكر على جمعه؛ لأن ما قاله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان عين الصواب والحكمة وبعد النظر، فتحرى أبو بكر عن الرجال الموجودين من حفظة القرآن الكريم وجمع خمسة وعشرين رجلًا من قريش ممن كانوا يحفظون القرآن الكريم، وخمسين من الأنصار، وقال لهم: (اكتبوا القرآن الكريم، واعرضوه على سعيد بن العاص، فإنه رجل فصيح)[٢] والأرجح من ذلك أن أبا بكر كلف زيد بن ثابت؛ لأنه كان أحد كُتّاب الوحي ليقوم بهذه المهمة المباركة والصعبة؛ لأنه لا مجال للخطأ فيها، وقد قال زيد بن ثابت: (والله لو كلفوني في ثقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من مهمة جمع القرآن الكريم، فتتبعت القرآن الكريم أجمعه من العسب واللحاف ومن صدور الرجال)[٣] وتمكن زيد من جمع القرآن الكريم، وحفظه عند أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حتى وفاته، ثم حفظه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ومن بعده ابنته (حفصة بنت عمر).[٤]

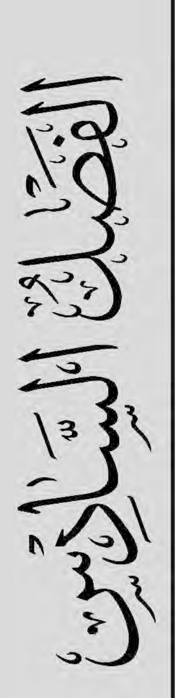
---

(١) د. حسن إبراهيم، ج ١ ص ٤٩٨ د. فايد عاشور، د. مصلح أبو عزب، تاريخ دولة الإسلام الأولى، ص ٢٤٥

(٢) اليعقوبي، ج ٢ ص ١٣٥

(٣) حسن إبراهيم، ج ١ ص ٤٩٩

(٤) عبد الوهاب النجار، ص ١٠٤



- الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- دوافع الفتوحات الإسلامية.
- الفتوحات في بلاد فارس.
- فتح العراق، وأهم المعارك:

- الأبله (ذات السلاسل).
- معركة الثني.
- معركة الولجة.
- معركة أليس.
- فتح الحيرة.
- فتح الأنبار.
- فتح عين التمر.
- فتح دومة الجندل.
- فتح الحصيدة والخنافس.
- وقعة الفراض.
- وقعة بابل.

الفصل السادس

الفتوحات الإسلامية
في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

ما هي دوافع الفتوحات الإسلامية؟

١ - تبليغ رسالة الله (عز وجل)، وهي رسالة الإسلام لكل البشر وفي كل بقاع الأرض، وهذا تكليف من الله (عز وجل) للمسلمين.

٢ - الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد في سبيل الله (عز وجل) وثمن الجهاد، والشهادة هي الجنة فالشهادة أصبحت هدفًا ومطلبًا وأمنية لكل مسلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾[١]، ولقوله تعالى أيضًا: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[٢]، وقال الله أيضًا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[٣].

٣ - محاربة الفرس؛ لأنهم يقفون ضد نشر الإسلام وإيصال الدعوة الإسلامية للناس، ويدعمون أعداء الإسلام والمرتدين عنه، كذلك محاربة الروم لنفس الأسباب، ولأنهم يحرضون القبائل النصرانية ضد الإسلام والمسلمين.[٤]

٤ - تخليص الأراضي العربية والقبائل المقيمة عليها من سيطرة الفرس والروم لفرضهم الضرائب الباهظة عليها، حتى أصبحت تتمنى الخلاص من سيطرة هؤلاء.

---

(١) التوبة، الآية ١١١

(٢) الحج، الآية ٦٨

(٣) الأنفال، الآية ٦٠

(٤) الطبري، ج ٣ ص ٢٤٩

٥ – آن الأوان لتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام، وتأهيلها لتحمل رسالة الإسلام وتنشرها خارجها؛ لأن ذلك تكليف من الله (ﷻ).

٦ – وجود قيادات إسلامية ذات كفاءة عالية وخبرة كافية في الحروب، وقدرتهم على وضع الخطط العسكرية المناسبة وتأمين حركة الجيش تقدمًا أو انسحابًا وتوفير ما يلزم المجاهدين من ماء وغذاء، وجمع الأخبار عن العدو كخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

٧ – وجود القبائل العربية ضمن الدولتين الفارسية والرومانية شجَّعَ المسلمين على الفتوحات؛ لأنها ستكون أكثر تقبلًا للإسلام من غيرها بسبب التجانس الفكري والاجتماعي معها، كذلك الظلم الذي مارسته دولتا الفرس والروم ضد تلك القبائل العربية.

٨ – اضطهاد الروم البيزنطيّون لبعض الطوائف النصرانية مثل اليعاقبة والنساطرة في بلاد الشام بسبب اختلاف المذهب، شجَّعَ المسلمين على الفتوحات؛ لأن هؤلاء لديهم رغبة في التخلص من سيطرة الروم واضطهادهم لهم.(١)

٩ – معرفة المسلمين طبيعة البلاد والسكان المراد نشر الإسلام عندهم، وذلك من خلال النشاط التجاري مع تلك البلدان؛ لذلك سارت البعثات السلمية لنشر الإسلام وتبليغ الرسالة الإسلامية، وحيث فشلت كانت الحملات العسكرية.

١٠ – نوعية المجاهدين المثالية، فهم رجال يتحملون الجوع والعطش، وهم صبورون على الشدائد لأن جهادهم واستشهادهم ثمنه الجنة أو النصر، حتى جِمالهم وخيولهم متمرسة على تحمل التعب والجوع والعطش بسبب البيئة الصحراوية التي تعيش فيها، بينما أعداء الإسلام أبعدُ بكثير عن هذه الصفات، ولعل معركة ذات السلاسل قد أوضحت ذلك.

---

(١) د. محمد سهيل طقوش، ص ٧٥

١١ - كانت الشعوب تفتح القلوب للمسلمين قبل أن يتم فتح مدنهم وقراهم والحصون، والسبب ما كان يصل لتلك الشعوب المقهورة من تسامح المسلمين وعدلهم وحبهم لتحقيق المساواة ورفع الظلم وحرية العبادة.

١٢ - الغنائم والجزية هما مصدرٌ للدخل سواء للدولة أو للمجاهدين، وهي حصيلة الجهاد وليس غايته ومطلبه، وقد شارك في الفتوحات الإسلامية أهل مكة المكرمة والطائف وعرب اليمن ونجد والحجاز آملين في التخلص من الفقر والجوع وهي مكاسب مادية لا يمكن إنكارها وهي ثمرة طبيعية للجهاد وليست غايته لأن الغاية السامية تتحقق بالشهادة، وهي جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أما المكاسب المادية فتتحقق بالنصر وقيمتها عند المسلمين لا تعدل جناح بعوضة كما وضح الحديث النبوي الشريف: "لو أن الدنيا تعدل جناح بعوضة ما أعطى اللهُ الكافر منها شربة ماء" والحروب والمعارك تسفر إما عن النصر والغنائم أو الهزيمة والخسائر، فجهاد المسلمين لغايات أنبل بكثير من المادة، كنشر الإسلام وتطبيق مبادئه السمحة المثالية ونشر العدل ورفع الظلم وتحقيق العدالة والمساواة والانتقال بالبشرية من عبادة البشر والحجر وعبادة ما لا ينفع ولا يضر إلى عبادة الله الواحد الأحد.[١]

١٣ - إيمان المسلمين بالقضاء والقدر جعلهم لا يخافون القتال ولا يخشون من الموت؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢]

١٤ - إيمانهم بأن لكل أجل كتاب، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، كل ذلك جعلهم يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥

(٢) الأعراف، الآية ٣٤

(٣) التوبة، الآية ٣١



الفتوحات في بلاد فارس

١ - فتح العراق:

كان يسكن جنوب العراق "الحيرة" قبائل عربية من بكر وتغلب وربيعة وشيبان وطيئ، وقد خضعت لسيطرة الفرس الذين عينوا عليها واليًا فارسيًّا ليدير أمورها.

وقد أرسل النبي (ﷺ) كتابًا إلى ملك الفرس "كسرى أبرويز" يدعوه فيه إلى الإسلام، لكن كسرى مزّق الكتاب استكبارًا وجهلًا، وطلب من واليه على اليمن (باذان) أن يُرسل رجلين جلدَيْن إلى النبي (ﷺ)، فلما وصلا عند رسول الله (ﷺ) قال لهما: (في هذا اليوم قتل ملككم كسرى أبرويز على يد ابنه شيرويه، الذي ثار بمساعدة كبار الفرس، واستولى

على مُلك فارس)، ولما تأكد الرجلان من صدق ما قاله النبي (ﷺ) أسلما، وأرسل شيرويه إلى باذان كي لا يتعرض للنبي (ﷺ) بسوء. وقد فُتحت اليمن في عهد رسول الله (ﷺ) وأسلم باذان فولّاه النبي (ﷺ) اليمن، وهكذا انضمت أول بلاد كانت تحت سيطرة الفرس للمسلمين، ثم انضمت بعدها البحرين وعمان، وتحررتا من سيطرة الفرس.

في السنة التاسعة للهجرة، أسلم المثنى بن حارثة الشيباني، وهو أحد أفراد قبيلة شيبان، وبعد وفاة النبي (ﷺ) طلب المثنى من الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أن يسمح له بمجاهدة الفرس فوافقه أبو بكر وأرسله، وبدأ بشنّ الغارات عليهم بأسلوب الكر والفر، ولما انتهى أبو بكر (رضي الله عنه) من حروب الردة، وجمع العرب على دين الإسلام أصبح همُّه نشر الإسلام؛ ليعم العدل وتتحقق المساواة بين الأمم والشعوب، لاسيما التي كان ملوكها يعتبرون أنفسهم في قمة الحضارة والرقي بينما رعاياهم عبيدٌ عندهم يعاملون بالظلم والقسوة، وقد كانت الممالك المجاورة للمسلمين - آنذاك - مملكة الروم شمالًا ومملكة الفرس "الساسانيين" شرقًا، وكانت تشمل مملكة الفرس (إيران، والعراق، والمناطق الواقعة غرب بحر قزوين، أي: الخزر)، وكان للفرس ديانات متعددة كالزرادشتية والمزدكية والمانوية، ومحورها عبادة النار التي أصبح لها معابد في معظم بلاد فارس، وكان مجتمعهم من طبقات على رأسها الملك وحاشيته، ثم رجال الدين وكبار الموظفين، ثم عامة الشعب.

بعد أن اطمأن الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على استقرار الأمور في شبه الجزيرة العربية، أرسل خالد بن الوليد إلى بلاد فارس؛ ليقوم بتبليغ رسالة الإسلام لشعوبها وملوكها، وذلك عام ١٢/ هـ بداية شهر محرم، وقد أمره أن يبدأ بالأبله.[١]

وقعة الأبُله (كاظمة ذات السلاسل):

اتّجه خالد بن الوليد إلى الأبُله، وأمده أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بالقعقاع بن عمرو، وأرسل عياض بن غنم ليهاجم الفرس من شمال العراق عند قرية المصيخ (قرية على الفرات شمال العراق)، وأمده أيضًا بعبد يغوث الحميري، وأمرهما بأن يستعينوا بمن قاتلوا أهل الردة، وتم ذلك في شهر محرم عام ١٢هـ نيسان عام٦٣٣ / م.

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ الأبله: ثغر للفرس على الخليج العربي عند مصب نهر دجلة، وسميت ذات السلاسل؛ لأن الفرس كانوا يربطون أفراد جيشهم بالسلاسل حتى لا يهربوا من المعركة.

وصل خالد قرية الأبله، ووزّع جيشه لثلاث فرق:

الأولى: على رأسها المثنى بن حارثة الشيباني.

الثانية: على رأسها عدي بن حاتم الطائي.

الثالثة: تحت إمرته هو.

وسارت الفرقتان قبله إلى مكان يسمى الحفير (موقع على الطريق بين مكة المكرمة والبصرة قريب من الأبله) وكان واليه أحد عظماء الفرس ويدعى (هرمز) المعروف بكراهيته للعرب، وكان العرب يحقدون عليه لكثرة غزوه لمناطقهم.

نزل جيش خالد بن الوليد في مكان لا ماء فيه؛ لأن هرمز سبقه إليه عند كاظمة، فقال خالد لجنده: (جالدوهم على الماء، فإن الله جاعله لأصبر الفريقين).

تقدم خالد وسط الصفوف، وطلب مبارزة هرمز، وتمكن من قتله، فأحاط جنود الفرس بخالد يريدون قتله لولا تدخل القعقاع فحمي وطيس المعركة وهزم الفرس، وأرسلت البشائر لأبي بكر الصديق مع خمس الغنائم وترك أربع أخماسها للمقاتلين. تابع المثنى بن حارثة المهزومين من الفرس؛ لأنه يعرف مناطقهم جيدًا. وصل خبر هزيمة الفرس لملكهم أزدشير في المدائن[1] فأرسل جيشًا من الفرس يقوده (قازان) الذي جمع المهزومين، ووصل حتى منطقة (الثني) وهي منعطف نهر دجلة عند البصرة.

وقعة الثني (منطقة المذار):

لما هزم خالدُ بن الوليد أهل المصبح طلب من القعقاع ومن أبي ليلى أن يسبقاه إلى كاظمة على أن يلتقي الثلاثة في الليل للإغارة على الثني من ثلاث جهات.

وكان هرمز – قبل مقتله – قد طلب المدد من ملك الفرس أزدشير لقتال المسلمين، فأمده بالقائد قازان بن قرياس الذي التقى بجيش المسلمين، وطلب المبارزة ليثأر لهرمز، فبرز له أحد فرسان المسلمين، وتمكن من قتله فاشتبك الجيشان، ودارت الدائرة على الفرس، فهزم جيشهم وقتل منهم ثلاثين ألفًا، وغرق منهم عددٌ كبير في نهر دجلة، وهرب (هلال بن عقه) خوفًا من خالد بن الوليد، وتم أخذ الجزية من الفلاحين، وأرسلت أخبار الفتح مع خمس الغنائم لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[2]

---

(١) مدينة على نهر دجلة جنوب بغداد، فيها إيوان كسرى.

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٢ الطبري، ج ٣ ص ٣٥٣ فكري فيصل، ص ٦٣ محمود شاكر، ص ٨٥

وقعة الولجة:

عندما علم ملك الفرس أزدشير بما حدث لجيشه في الثني؛ أرسل جيشًا آخر يقوده (الأندر زغر) وأمده بجيش ثانٍ يقوده (بهمن بن جاذويه) من المدائن، فعسكر في (كسكر) ثم تقدم إلى الولجة وتجاوزها، وعسكر جانب قوات الأندر، وكان خالد بن الوليد قد نصب كمينًا للقوات الفارسية لرصد تحركاتها بقيادة (بسر بن أبي درهم، وسعيد بن مرة) وسار خالد باتجاه القوات الفارسية، واشتبك مع جيش الأندر، وتمكن من هزيمته هو وقوات "بهمن" فخرج أفراد الكمين وحاصروا الأندر الذي حاول الهرب فمات عطشًا، وقد قتل في هذه المعركة أفراد من قبيلة بكر بن وائل؛ مما أغضب نصارى بكر، فاجتمعوا في مكان يسمى أليس؛ ليثأروا لقتلاهم من المسلمين[١]

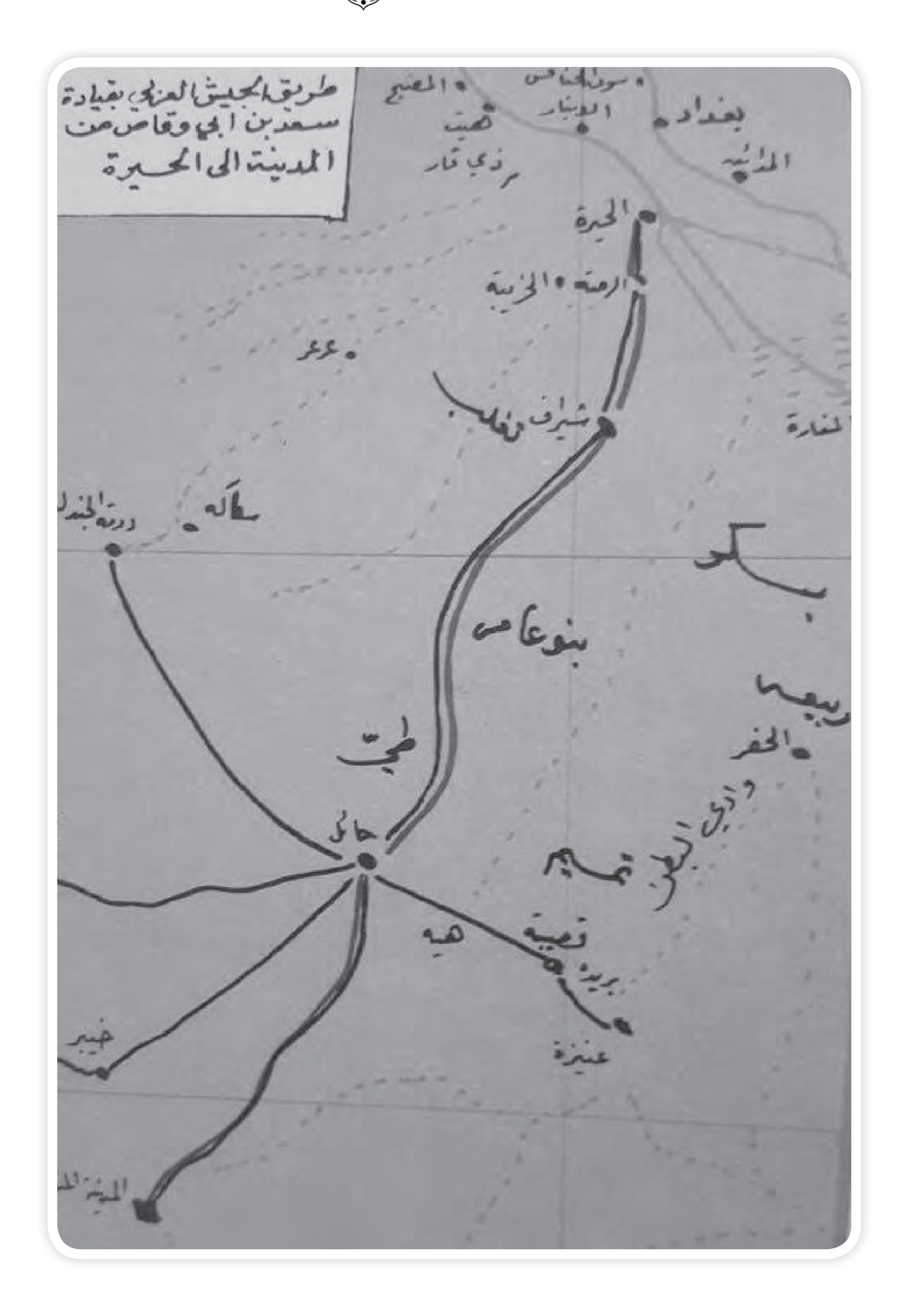
وقعة أليس[٢]:

كاتَبَ نصارى بني بكر ملكَ الفرس ليمدهم بقوات لقتال المسلمين، فكتب الملك أزدشير إلى قائده "بهمن" بن جاذويه المهزوم في معركة الولجة يأمره بالمسير لنجدة بني بكر النصارى، فأرسل "بهمن" من يسبقه إليهم وهو القائد (جابان) الذي وصل أرض بني بكر، وعسكر فيها، فأقبل خالد بن الوليد وتوسط الميدان في منطقة (أمغشيا) وطلب المبارزة، فبرز له أحد زعماء بني بكر فتمكن خالد من قتله، وحمل المسلمون على جيش الفرس ونصارى بني بكر الذين كانوا يطلبون من الجنود الصبر؛ أملًا في وصول النجدة والمدد مع القائد الفارسي "بهمن"، وقد صبر المسلمون وثبتوا ونفذ صبرُ نصارى بني بكر ولم يصل المدد؛ فولُّوا هاربين بعد أن قتل منهم أكثر من سبعين ألفًا، فأرسل خالد بن الوليد بخبر النصر وخمس الغنائم لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي قال: (يا أهل قريش، غدا أسدُكم على الأسد فغلبه على خراذبلة، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد)[٣] وكان هذا النصر في شهر صفر عام ١٢هـ.

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٥٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٣ شكري فيصل، ص ٦٤

(٢) قرية من الأنبار على نهر الفرات.

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٥٩


طريق الجيش العربي بقيادة
سعد بن أبي وقاص من
المدينة الى الحيرة
بغداد
الحيرة
شراف
بنو عامر
حائل
دومة الجندل
بريدة
عنيزة
خيبر
الحفر
تميم

فتح الحيرة[1]، وموقعة فرات بادقلي:

سار إليها خالد بن الوليد على نهر الفرات، وخرج إليه (مرزبان) الحيرة (الأرازبة) الذي أرسل ابنه فقطع الماء عن سفن المسلمين ببنائه سدًّا على نهر الفرات، فرسَتْ سفن المسلمين في قاع النهر مما أعاق وصول الأنفال والأثقال؛ لذلك استخدم خالد الخيول، وسار نحو ابن الأزاذبة، واشتبك معه وتمكن من قتله عند فرات بادقلي، وهزم جيشه وفتح السد الذي بناه ابن الأزاذبة، فعادت المياه إلى النهر. فلما علم بذلك الأزاذبة عبر النهر، وولّى هاربًا خاصة أنه علم بوفاة أزدشير ملك الفرس، واتجه نحو الحيرة، وتحصن بها، فتابعه خالد بجيشه، وحاصر قصور الحيرة من موقع الخورنق، وقام ضرار بن الأزور بمحاصرة قصر الأبيض وفيه (إياس بن قبيصة الطائي). وحاصر ضرار بن الخطاب قصر الغربيين وفيه عدي بن عدي، وحاصر ضرار بن مقرن المزني قصر بني مازن الغربي وفيه (ابن أكال)، أما المثنى بن حارثة فقد حاصر قصر (ابن بقلة) وفيه عمرو بن عبد المسيح، هكذا أحكم المسلمون الحصار على القوات الفارسية في القصور، فدعا خالد أمراء الحيرة للإسلام وأمهلهم يومًا وليلة، فرفضوا طلبه؛ لذلك حاربهم خالد، وتمكن من دخول الأديرة فصاح الرهبان والقسيسون بأهل القصور ليطلبوا الصلح من المسلمين، فأعلنوا قبولهم للصلح على واحدة من ثلاث (الإسلام أو الجزية أو القتال) فكفّ عنهم المسلمون، وتقدم عمر بن عبد المسيح وقال لخالد: (أسلمٌ أنت أم حرب؟) قال خالد: بل سلم، وما هذه القصور؟، قال: (بنيناها للسفيه فنحبسه فيها حتى ينهاه الحليم) فصالحهم خالد على الجزية، وهي (مائة ألف وتسعون ألفًا) فأهدوا له الهدايا على عادة ملوك الفرس، فأرسل خالد بأنباء النصر وبالهدايا التي اعتبرت من الجزية لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ولما رأى الدهاقون ما فعله خالد؛ صالحوه على ما يلي: (الحيرة من الفلاليج إلى هرمز تدفع ألفَ ألفٍ ماعدا جباية كسرى)، وقام خالد بمسح المنطقة مما وراء هرمز إلى شاطئ دجلة، وكتب إلى ملوك فارس كتابًا، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد، فالحمد لله الذي حلّ نظامَكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم نفعل ذلك كان شرًّا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة)[2]

---

(١) قرية عند نهر الفرات قريبة من الكوفة.

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٥٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٥ الخضري بك، ج ١ ص ١٨٦

وكتب إلى المرازبة كتابًا آخر، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد، فالحمد لله الذي فض حدتكم، وفرق كلمتكم، وجفل حرمكم، وكسر شوكتكم، فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا في الذمة وأدّوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر)[١]

وكان الفرس قد اختلفوا داخليًّا بعد موت ملكهم أزدشير؛ لعدم اتفاقهم على من يلي حكم البلاد الفارسية بعده، فلما وصلت كتب خالد اجتمعت نساء الفرس، واتفقن على تولية أحد أمراء فارس الملك، وهو (العزخزاد بن البنذوان) حتى تتمكن فارس من اختيار ملك أكثر كفاءة وصلاحية من بيت كسرى.

فتح الأنبار:

سار خالد بن الوليد من الحيرة إلى الأنبار على شاطئ الفرات شمال الكوفة لنجدة (عياض بن غنم)[٢] وكان على مقدمة جيشه (الأقرع بن حابس) وكان على جيش الفرس (شيراز صاحب ساباط) فاشتبك معه المسلمون حتى أجبروه على طلب الصلح حسب شروطهم، فتركه خالد يذهب إلى مأمنه، حيث يريد فذهب إلى "بهمن"، استخلف خالد الزبرقان بن بدر على الأنبار، واتجه إلى عين التمر.

فتح عين التمر (غرب الأنبار):

وصل خالد بن الوليد إلى عين التمر، فوجد فيها جموع الفرس، وعليهم القائد (مهران بن بهرام جوبين) ومعهم عدد كبير من عرب عين التمر، وهم حلفاؤهم من (تغلب، وإياد، والنمر) يقودهم (عقة بن أبي عقة) وكانوا تحت حكم الأكاسرة. تقدم الفرس بقيادة (بهرام) فقال عقة لبهرام: (إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالد. قال مهرام: صدقت، لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم لمثلنا في قتال العجم) لذلك تخلى مهرام عن عقة وتركه يواجه خالد بن الوليد لوحده[٣] وعندما حدثت المعركة تمكن خالد بن الوليد من أسر (عقة) مع عدد كبير من أفراد جيشه، وهرب من استطاع الهرب، ولما علم مهران بما

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٨ عبد الوهاب النجار، ص ٨١

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٨ عبد الوهاب النجار، ص ٨٢ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٠

حصل مع (عقة) ولّى هاربًا هو وجيشه، وترك الحصن وفيه من انهزم من قواته، وقد طلبوا الأمان من خالد بن الوليد، لكنه لم يؤمّنهم واشتبك معهم، وقتل منهم الكثيرَ فوجد بينهم أربعين غلامًا كانوا يتعلمون الإنجيل، فوزعهم بين جنود المسلمين، وكان منهم والد موسى بن نصير، وسيرين والد محمد بن سيرين، وحمران مولى عثمان بن عفان، وعندما اطمأن خالد بن الوليد على عودة عين التمر لحضن المسلمين ترك فيها (عويم بن كاهل الأسلمي)، وأرسل بالخمس والبشائر لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[١]

فتح دومة الجندل:

كان عياض بن غنم مكلفًا بفتح دومة الجندل، فعندما فرغ خالد بن الوليد من عين التمر؛ اتجه لمساعدة عياض بناءً على طلب من النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكان فيها (أكيد بن عبد الملك) فنجح رجال خالد بن الوليد من أسره مع بعض رجاله الذين كانوا يصطادون البقر في ليلة مقمرة، وأرسلوهم إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فحقن دم أكيد وصالحه على الجزية وأعاده إلى قريته، بينما قتل أخاه، فلما توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) نقض أكيد عهدَه الذي كان قد قطعه على نفسه وعن قومه أمام النبي (صلى الله عليه وسلم)، فلما أصبح أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين أرسل خالد بن الوليد وعياض بن غنم لفتح العراق، فاجتمع عليهم في دومة الجندل كثيرٌ من نصارى العرب وحلفائهم، فجاءهم (وديعة ومعه كلب وبهراء، وانضم إليه ابن دبرة بن روفانس وأتباعه، وابن الحدرجان في الضجاعم، وابن الأيهم في طوائف غسان وتنوخ، ومؤيدوهم من الفرس)[٢]

فتغلبوا على عياض بن غنم؛ لأنه تحرك إليهم قبل أن يصل خالد بن الوليد ليساعده، وعندما وصل خالد وجَّه له اللوم؛ لاستعجاله، واستعد الاثنان لقتال أهل دومة الجندل. كان في دومة الجندل زعيمان هما الجودي بن ربيعة وأكيد بن عبد الملك، فقال أكيد للجودي: (أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أحدٌ في الحرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلوا أو كثروا؛ إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم) لكن جماعة الجودي رفضوا، فقال لهم: لن أوافقكم على حرب. وتركهم ومضى، فأرسل خالد

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٧٩ تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨١٤ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٩ شكري فيصل، ص ٦٩ عبد الوهاب النجار، ص ٨٤

(٢) الخضري بك، ج ١ ص ١٨٩ عبد الوهاب النجار، ص ٨٤ محمود شاكر، ص ٨٧

رجاله فتتبعوه وعارضوه في الطريق وأتوا به لخالد فضرب عنقه؛ لأنه نقض عهده الذي قطعه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دفع الجزية، وهاجم خالد الحصن الذي يتحصن فيه الجودي، ونجح في فتحه، فأقام به خالد حتى اطمأن على هزيمة أعدائه، ثم رحل.[(١)]

وقعة الحصيرة، والخنافس:

ثار عرب الجزيرة حمية لمقتل وهزيمة (عرب عين التمر، وزعيمهم عقه) فطلبوا العون من الفرس، فأرسل لهم الفرس جيشين عظيمين بقيادة (زرمهر وروزبة) اللذيْن وصلا (الحصير والخنافس) قرب الأنبار، وعندما سمع بذلك القعقاع خليفة خالد على الحيرة؛ أرسل سريتين منعتهما من التوغل في الريف، وعاد خالد إلى الحيرة فأرسل القعقاع لنجدة الزبرقان أبا ليلى (أغيد بن فدكي) إلى الحصيد للقاء الفرس، وأرسل عروة بن الجعد إلى الخنافس فاشتبكوا مع الفرس، وقتلوا قادة جيشهم (روزبة وزرمهر) وغنموا جميع ما في (الحصير) فانسحبت الأعاجم إلى الخنافس وبها (المهبوذان)، فلحق به أبو ليلى وهزمه، فانسحب إلى المصيخ، وفيها بعض عرب الجزيرة، فكتب خالد إلى أبي ليلى والقعقاع للحضور إلى المصيخ، وتم اللقاء والتجمع في هذا المكان حيث اشتبكوا مع الفرس، وهزموهم[(٢)] وتوجه خالد إلى (ربيعة بن بجير التغلبي) لأنه جمع جيش الفرس في منطقة (الثني والبشر شرق الرصافة) غضبا لمقتل (عقة) وتحالف مع (الهذيل بن عمران، وروزبة، وزرمهر) ففاجأهم خالد بن الوليد بغارة سريعة، فلم يفلت من جيش (بجير) أحدٌ، وتمت هزيمتهم فأرسل خالد ببشائر النصر والأخماس لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقد قيل (امتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنمًا مصرعه).[(٣)]

وقعة الفراض:

اجتمع الفرس والروم وبعض القبائل العربية الحاقدة لقتال المسلمين، وذلك بسبب ضياع سيادتهم ومعتقداتهم التي خسروها في ظل الإسلام، وكان اجتماعهم في الفراض على تخوم الشام والعراق والجزيرة، وكان الجو - آنذاك - شديد الحرارة، والمسلمون في رمضان وهم صائمون، وذلك عام ١٢ / هـ، فسار خالد بمن معه من

(١) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧١ الخضري بك، ج ١ ص ١٩٠ عبد الوهاب النجار، ص ٨٥

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٠ الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧١ شكري فيصل، ص ٦٧ محمود شاكر، ص ٨٧

(٣) الطبري، ج٣ ص ٣٨١ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٣

(منطقة البشر إلى الرضاب) ولم يلق مقاومة حتى وصل إلى الفراض فأفطر فيها المسلمون ثم عبروا نهر الفرات واشتبكوا مع تجمع الأعداء، وفيه قبائل (تغلب، وإياد، والنمر) فهزمهم المسلمون شرَّ هزيمة، وصدق قول الله تعالى ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1] وقتل منهم الآلاف[2] وعاد الجيش الإسلامي المنتصر والذي يقوده (عاصم بن عمر، وشجرة بن الأغر) إلى الحيرة، وتأخر عنه خالد بن الوليد؛ لأنه سلك طريقًا آخر إلى مكة المكرمة؛ ليلحق بالحج دون أن يعرف القادة الذين كانوا معه ذلك حتى عاد من الحج هو وجماعته وعليهم آثار الحجاج كحلق الرؤوس أو التصريح بالحج، وهذا الأمر جعل أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) يحمل على خالد؛ لأن فيه كبرياءً واعتدادًا بالنفس وشيئًا من الغرور؛ لأنه لم يطلب الإذن بالحج، وكانت جبهة الشام بحاجة إلى المدد ضد الروم، فوجد أبو بكر أن ما فعله خالد - إضافة لحاجة أهل الشام له، وهو قائد ذو كفاءة عالية - فرصة استغلها أبو بكر (رضي الله عنه) لسحبه من العراق الى الشام، وبذلك يكون قد حقق أمرين:

١ - لبى مطلب أهل الشام بإرساله قائدًا يعتز فيه القاصي والداني، وشهد بكفاءته الأعداء قبل الأصدقاء.

٢ - عاقب خالدًا، لكن بأسلوب لطيف وحكمة بالغة دون أن يجرح مشاعره أو يوجه له الاتهام المباشر.

أرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) رسالة إلى خالد بن الوليد، جاء فيها:

(سرْ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك؛ فإنهم شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلته، فإنه لم يشج بعون الله من الناس شجوك، ولم ينزع الشجي من الناس نزعتك.).

وكان انصراف خالد إلى الشام في صفر سنة ١٣هـ، فترك خالد العراق للمثنى بن حارثة الشيباني الذي أقام في الحيرة، وجهز المسلمين لقتال الفرس من جديد؛ لأنهم تجمعوا بجيش يقوده (هرمز)، وكان ملكهم (شهر يزان بن أزدشير)[3]

---

(١) المجادلة، الآية ١٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ الكامل، ج ٢ ص ٢٧٢ الخضري بك، ج ١ ص ١٩١ محمود شاكر، ص ٨٨

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٤ الكامل، ج ٢ ص ٢٧٤ الخضري بك، ج ١ ص ١٩٠ محمود شاكر، ص ٩٠

وقعة بابل:

خرج المثنى بن حارثة من الحيرة لقتال هرمز عند بابل، وهي مدينة الحلة اليوم، فاشتبك معه وتمكن من هزيمته. وفي هذه الأثناء، توفي ملك الفرس شهر يزان، وظهرت الخلافات الداخلية في مملكة فارس من أجل السلطة والملك، وهذا شغلهم عن المسلمين لبعض الوقت.

لم تأت تعليمات جديدة من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فذهب المثنى بن حارثة إلى المدينة المنورة، وترك على جيشه (بشير بن الخصاصية)، وعندما وصل المدينة المنورة وجد أبا بكر مريضًا، وقد استحضر عمر بن الخطاب، وأوصاه بما يلي: (إني لأرجو أن أموت يومي هذا، فإن مت فلا تمشِيَنّ حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتني وقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما صنعته، وما أصيب الخلق بمثله، وإذا فتح الله على أهل الشام؛ فارْدُدْ أهل العراق إلى عراقهم، فإنهم أهله وولاة أمره، وأهل الجرأة عليهم) وتوفي أبو بكر، وحدُّ فارس عند نهر الفرات.

الفصل السابع

الفتوحات في المناطق التي يسيطر عليها الرومان البيزنطيّون:

- في عهد النبي (ﷺ)، سرية أسامة بن زيد.
- في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- إنفاذ سرية أسامة.
- إرسال جيش خالد بن سعيد.
- تجهيز الجيوش الإسلامية للفتوحات في بلاد الشام.
- الأحداث قبل معركة اليرموك.
- معركة أجنادين.
- معركة اليرموك (أحداثها ونتائجها).


تحرير بلاد الشام العربية
من السيطرة البيزنطية
(انتشار الإسلام)
حركة الجيوش العربية
أبو عبيدة
خالد بن الوليد
عمرو بن العاص
شرحبيل بن حسنة
يزيد بن أبي سفيان
المقياس
البحر الأبيض المتوسط
اللاذقية
جبيل
بيروت
حيفا
القدس
خالد بن الوليد

الفصل السابع

الفتوحات الإسلامية
في المناطق التي يسيطر عليها الروم

أ - في عهد النبي (ﷺ):

كانت مملكة الروم تحد البلاد العربية من الشمال، وكانت سواحل بلاد الشام ووسطها تتبع الإدارة الرومانية البيزنطية، أما الداخل ففيه قبائل عربية متاخمة للصحراء وهي بمثابة الدرع الذي يحمي الدولة البيزنطية من أي خطر فارسي مقابل مساعدات مالية، ومنها مملكة الغساسنة. فعندما بعث النبي (ﷺ)، أرسل كتابًا إلى ملك الروم البيزنطيّين (هرقل) يدعوه فيه إلى الإسلام، وأرسل كتابًا آخر إلى ملك الغساسنة جنوب شرق بلاد الشام (البلقاء) وهو (الحارث بن أبي شمر الغساني)، وكتب إلى عامل قيصر الروم على العرب يدعوه للإسلام، ففكر عامل القيصر بغزو العرب ردًّا على رسالة النبي محمدٍ (ﷺ)، لكن ملك الروم نهاه عن ذلك[1]

وفي السنة الثامنة للهجرة النبوية، جهز النبي (ﷺ) جيشًا ليسير إلى بلاد الشام بإمرة (زيد بن حارثة) الذي خاض غزوة مؤتة، وجمع له الروم فيها مائة ألف مقاتلٍ، واستشهد في هذه المعركة (زيد وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم) واستلم خالد بن الوليد إمرة الجيش الإسلامي، ونجح في تأمين السلامة للمسلمين.

وفي السنة التاسعة للهجرة، جهز النبي (ﷺ) جيشًا آخر لغزو الروم، فوصل إلى تبوك، وأجبر سكانها على دفع الجزية، وعلى رأسهم صاحب (أيله) يوحنا بن رؤيهو صاحب (جرباء وأذرع) مما أغضب هرقل فأصدر أمرًا بقتل يوحنا وصلبه.

وفي السنة التي توفي فيها النبي (ﷺ)، كان قد جهز سرية تحت إمرة أسامة بن زيد بن الحارثة ليتجه به إلى (بني قضاعة) للثأر والقصاص منهم؛ بسبب شهداء المسلمين

(١) الطبري، ج٣ ص ٣٩٠ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨٤ شكري فيصل، ص ٥٤

الذين سقطوا على أيديهم يوم مؤتة، لكن وفاة النبي (ﷺ) أجّلت خروج سرية أسامة لهذه المهمة، حتى استلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخلافة.

ب - الفتوحات في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

سرية أسامة بن زيد:

أرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) سرية أسامة بن زيد، كما كان النبي (ﷺ) يريد، فوصلت إلى (أبني) وهزمت حلفاء الروم من القبائل العربية (كقبيلة قضاعة)، وعاد منتصرًا ومحمّلًا بالغنائم، ثم عقد أبو بكر الألوية من (ذي القصة) وخصص لواءً لخالد بن سعيد بن العاص أرسله إلى مشارف الشام، وأمره أن يكون عونًا للمسلمين، وأن يعسكر في تيماء، وأن لا يغادرها إلا بأمرٍ منه، وأن لا يقاتل إلا من قاتله، وعندما علم هرقل بتحرك خالد بن سعيد جهز جيشًا لقتاله من العرب التابعين للروم كقبائل (بهراء، وسليح، وكلب، ولخم، وجذام، وغسان) لأنهم أدركوا أنه لا يفلّ الحديد إلا الحديد (فالعرب لهم عرب مثلهم) فتصدى لهم خالد بن سعيد، ولقيهم عند منازلهم بين (أيل، وزيزاء) وتمكن من هزيمتهم، وأرسل ببشائر النصر لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[1] فطلب أبو بكر من خالد أن يتابع تقدمه، وقال له: (أقدم، ولا تحجم، واستنصر الله)، فسار خالد حتى لقي بطريق الروم (ماهان) فهزمه، وطلب المدد من أبي بكر؛ ليتابع تقدمه نحو الشام، فكتب أبو بكر (رضي الله عنه) إلى عكرمة بن أبي جهل، وإلى الوليد بن عقبة، فانضموا لجيش المسلمين الذي كان يقوده خالد بن سعيد، ومعهم ذو الكلاع، ومن جاء من تهامة والبحرين، وأرسل إلى عمرو بن العاص كتابًا هذا نصه: (إني كنت رددتك إلى العمل الذي ولاك رسول الله (ﷺ) مرة، ووعدتك فيه أخرى إنجازًا لمواعيد رسول الله (ﷺ)، وقد وليته، وأحببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبَّ إليك). فردَّ عمرو بن العاص: (إني سهم من سهام الإسلام، وأنت - بعد الله - الرامي فيها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارْمِ به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي)[2] وكتب الوليد بن عقبة إلى أبي بكر ما يوضح رغبته في الجهاد، وبذلك اجتمع عند خالد بن سعيد

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨٢ عبد الوهاب النجار، ص ٩٣

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧٦ الطبري، ج ٣ ص ٣٨٩ محمود شاكر، ص ٩٠

جيشٌ فيه عكرمة بن أبي جهل، والوليد بن عقبة، وذي الكلاع؛ مما شجّع أبا بكر على الاتجاه لفتح بلاد الشام.

كيف جهز أبو بكر الصديق جيوش المسلمين لفتح بلاد الشام؟

جهز أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أربعة جيوش لغزو بلاد الشام، والتي يسيطر عليها الروم البيزنطيون، وجعل على رأس كل جيش قائدًا إسلاميًّا من ذوي الكفاءات العالية، وهم:

- عمرو بن العاص، أرسله إلى فلسطين عن طريق أيلة.
- شرحبيل بن حسنة الذي قدم من العراق، فأرسله إلى الأردن عن طريق تبوك.
- يزيد بن أبي سفيان، فأرسله مع معاوية بن أبي سفيان إلى البلقاء (دمشق).
- أبو عبيدة عامر بن الجراح (أمين الأمة) فأرسله إلى حمص عن طريق الجابية، ومعه قرشيّان.

وقد بلغ عدد هذه الجيوش سبعة عشر ألفًا، فأوصى أبو بكر يزيدَ بن أبي سفيان، وباقي القادة، بما يلي:

" إياك وعيبة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها.. أصلح نفسك يصلح لك الناس.. وصلّ الصلاة لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والخشوع فيها، وإذا قدم عليك رسلُ عدوك فأكرمهم.. ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك.. وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، أكثر من حرسك وبددهم في عسكرك، فمن غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط.. واجتنب الغلول؛ فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)[١]

ما قبل معركة اليرموك:

علم الروم بمسير جيوش المسلمين إلى بلاد الشام؛ فراسلوا إمبراطورهم هرقل، فجاء إلى إنطاكية، وفيها بدأ بإصدار تعليماته لجيوشه، وتدارس قادة الجيوش الإسلامية الأمر، وأرسلوا لأبي بكر طالبين منه المشورة والمساعدة، فأرسل لخالد بن الوليد ليحضر من العراق وينضم إليهم، وأرسل لهم برسالة قال فيها: "اجتمعوا فتكونوا عسكرًا واحدًا، وصدوا زحف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصرُ من

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٦ الخضري بك، إتمام الوفاء، ص ٤٣

نصره وخاذل من كفره، ولن يأتي مثلكم من قلة، وإنما يأتي العشرة آلاف وزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا في اليرموك متساندين، وليصلْ كلُّ رجل منكم بأصحابه"[(١)] علم هرقل بما يدبره المسلمون؛ فأمر قواده بالتوجه لليرموك بقيادة باهان[(٢)]

مسير خالد بن الوليد إلى أجنادين واليرموك:

وتنفيذًا لأوامر الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)؛ سار خالد بن الوليد من الحيرة مع تسعة آلاف مجاهد؛ لمساعدة جيوش المسلمين المحاصرة لدمشق، وترك المثنى بن حارثة في الحيرة، وسلك طريقًا إلى اليرموك يجنبه الصدام بالحاميات الرومانية، ورغم ذلك كان يضطر أحيانًا للصدام معها. ومن (الحيرة) اتجه إلى قراقر، ثم إلى سوى، فمصيخ، وبهراء، ودومة الجندل، حتى وصل إلى أرك، وتدمر، والقريتين، ومنها إلى مرج راهط، وعندما وصل إلى بصرى الشام حاصرها مع قوات شرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان، وتمكن من إجبارها على الصلح ودفع الجزية، وتم ذلك في ٢٥ ربيع الأول عام ١٣/ هـ- ٣٠ من أيار عام ٦٣٤/ م. فكانت أول بلدة في بلاد الشام تخضع للمسلمين صلحًا في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[(٣)]

أرسل هرقل جيشًا مع قائده (وردان) تعداده ثلاثون ألفًا إلى حمص، لينطلق منها لفك الحصار عن دمشق، لكن (وردان) اتجه من حمص إلى بعلبك، ومنها إلى أجنادين، وليس إلى دمشق، وذلك لأنه اعتقد أن قوات عمرو بن العاص قليلة العدد وبعيدة عن باقي الجيوش الإسلامية التي تحاصر دمشق، ويمكنه أن يحقق نصرًا سهلًا يرفع به معنويات جيشه، ويضعف معنويات جيش المسلمين، وقد انضمت قواته إلى قوات الروم في أجنادين، والتي بلغت سبعين ألفًا؛ لأنها الحامية الرئيسية للروم في فلسطين، فأصبح جيش الروم أكثر من مائة ألف مقاتلٍ، يقودهم وردان، والقبقلار، وتذارق.

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٣ عبد الوهاب النجار، ص ٩٥ الخضري بك، ٤٤ د.فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٥ « اليرموك: نهر ينبع من سوريا ويصب بنهر الأردن»

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٣ عبد الوهاب النجار، ص ٩٧ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٦

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٤١٦ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٦ شكري فيصل، ص ٤٩ د.فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٧

معركة أجنادين جمادى الأولى عام ١٣هـ:

علم خالد بمسير وردان إلى أجنادين؛ فتحرك مع شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة بن الجراح؛ لنجدة عمرو بن العاص، وأرسل له رسالة، قال له فيها:

(لقد نزلت في أجنادين، فالروم قوات غير ذي عدد ولا قوة، والله قاصمهم وقاطع دابرهم، وقد شخصت إليهم في اليوم الذي قدموا فيه، فإن قدموا عليكم؛ فانهضوا لهم في أحسن عدتكم وأكمل نيتكم).

وعندما وصل خالد بن الوليد أجنادين[١] اجتمع بقادة جيوش المسلمين، واتفقوا على خطة لإدارة المعركة ضد الروم، تولى خالد قيادة المعركة وتعداد الجيش الإسلامي ثلاثُةٌ وثلاثون ألف مجاهدٍ، وسلم قلب المعركة لأبي عبيدة عامر بن الجراح، وسلم الميمنة إلى معاذ بن جبل الذي قال عنه النبي (ﷺ): (أعلم أمتي بالحلال والحرام)، أما الميسرة فسلمها لسعيد بن عامر ومعه سبعمائة مجاهدٍ.

وعلى الفرسان سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكانت النساء خلف جيش المسلمين لمداواة الجرحى وتأمين الطعام وإثارة الحماس والمشاركة في القتال عند الضرورة. وبعد أن تم توزيع المهام، قال خالد بن الوليد للمجاهدين: (اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في سبيل الله من جاءوا ليقاتلوكم، وأقدموا إقدام الأسد فأنتم الأحرار.. لا يهولنكم ما ترونه من كثرتهم، فإن الله منزل عليهم رجسه وغضبه.. فإن رأيتموني حملت فاحملوا)، وخطب معاذ بن جبل قائلًا للمجاهدين: (يا معشر المسلمين، أشروا أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم صارت هذه البلاد بلاد الإسلام أبدًا) فمن يتمعَّن بما قاله خالد ومعاذ (رضي الله عنهما) يعرف أن الإيمان بالنصر والثقة بهزيمة الأعداء أكيدة؛ لأن الجميع متوكلٌ على من بيده مفاتيح النصر وأسبابه.

- أرسل القائد الروماني "وردان" أحد رجاله؛ ليندس في صفوف المسلمين؛ ليعرف مدى استعدادهم للمعركة، وأمره أن يظل بينهم يومًا وليلة، ففعل، وعندما

(١) أجنادين: بلدة على مفترق طرق جنوب غرب القدس بين الرملة وبيت جبرين.

عاد قال لوردان ولمن معه من القادة: (وجدتهم رهبانًا في الليل فرسانًا في النهار، ولو سرق ابنُ ملكهم لقطعوا يده، ولو زنا رجموه لإقامة الحق فيهم)، فقال القبقلار: (لأن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي)، وقد أسلم الجاسوس الفارسي بعد المعركة.

- هاجم الروم ميمنة جيش المسلمين، فصبر المسلمون لهجوم الروم، وكان ذلك في الصباح في شهر جمادى الأولى عام ١٣هـ- ٣٠ يوليو ٦٣٤/ م، وذلك بعد شهرين من فتح بصرى.

- اشتد هجوم الروم صباحًا، وأخذوا بإلقاء الرماح مما أجبر خالد بن الوليد على بدء المعركة التي كان ينوي أن يبدأها عند الظهر تطبيقًا لسنة النبي (ﷺ)، واشتبك مع القوات الرومانية اشتباكًا عنيفًا أجبرها على الفرار من أرض المعركة، فقيل: (فما صبر الرومان على المسلمين فواقًا) أي قليل من الوقت، وأصبح لا هم للرومان إلا النجاة، خاصة بعد أن قتل قادتهم في المعركة، وهم: وردان، والقبقلار، وتذارق[١] فاتجهت القوات الرومانية الهاربة من المعركة نحو القدس ودمشق وحمص وأنطاكية بعد أن قتل منهم ثلاثة آلاف، وقتل من المسلمين أربعة عشر مجاهدًا، كان منهم (إبان بن سعيد بن العاص) الذي تزوج ليلة المعركة و (خالد بن عمرو بن العاص) وشقيق عمرو (هشام بن العاص) (وعكرمة بن أبي جهل)[٢]

- وقد اعتبرت معركةُ أجنادين من أكبر المعارك الإسلامية وأهمها في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فأرسل خالد ببشائر النصر إلى الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه).

(١) الطبري، ج٣ ص ٤١٧ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٦ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٧

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٧ البداية والنهاية، ج ٦ ص ٣٤٢ تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠



معركة اليرموك:

بعد انتهاء معركة أجنادين، توجه خالد بن الوليد إلى دمشق ولم يتجه إلى القدس، وذلك لحسابات وأسباب، منها:

١ – يوجد في دمشق أكبر قوة عسكرية للروم البيزنطيين بعد أجنادين.

٢ – لم تكن القدس عاصمة للروم آنذاك.

٣ – أسوار القدس عالية وحصينة، وسيخسر المسلمون الشهداء والوقت والجهد دون أن يحققوا نصرًا سريعًا مؤكدًا.

٤- القدس عقر دار النصارى، وسقوطها بيد المسلمين سيثيرهم ويغضبهم من المسلمين خاصة نصارى بلاد الشام، وهذا ليس أوانه الآن.

٥- علم خالد بن الوليد بتحرك قوات رومانية من أنطاكية أرسلها هرقل بقيادة باهان ملك أرمينية لفك الحصار عن دمشق، وكان معه عددٌ من أمراء الروس وملك الغساسنة (جبلة بن الأيهم الغساني) الذي كان يقود النصارى من العرب، وكانوا يركبون الخيول والجمال ومع الجيش مجموعة من القساوسة الذين ظلوا شهرًا يحرضون الجنود على القتال، كذلك الشمامسة والرهبان، وقد بلغ تعداد جيش الروم أكثر من مائتين وأربعين ألفَ مقاتلٍ، بينهم ثمانون ألفًا مقيدون بالسلاسل، وأربعون ألفًا مربوطون بالعمائم، وثمانون ألفًا من الفرسان، ومثلهم من الرَّجَّالة، وقد خندقت الفرق الرومانية شمال نهر اليرموك، بينما خندقت قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد جنوب النهر، وكان تعدادها أربعين ألفَ مجاهدٍ. كالعادة، تدارس خالد بن الوليد خطة المعركة مع القادة المسلمين، واقترح عليهم تعبئة الجيش وتوزيعه على شكل كراديس، منهم عشرة آلاف من الفرسان، ووضع أبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة في القلب، وعمرو بن العاص في الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان في الميسرة، وكان في كل لواء تسعُ سرايا على أساس قبلي وعشائري، بحيث يقاتل كل واحد بجانب أخيه المسلم وابن عشيرته أو قبيلته، وشكل فرقًا للاستطلاع على امتداد أحد عشر ميلًا، وكلف كلًّا من (قيس بن جبيرة، وأمير بن طفيل، وميسرة بن مرزوق) بقيادة فرق الخيالة الاحتياطية للتدخل عند الضرورة، وكان ضرار بن الأزور ينوب عن خالد في قيادة الوحدة المتنقلة الرئيسية في حال انشغال خالد في أمر آخر، وكانت النساء خلف الجيش الإسلامي لمهمة مداواة جرحى المسلمين وتأمين الطعام وإثارة الحماس في قلوب المجاهدين. وبعد أن انتهى خالد من ترتيباته العسكرية، خاطب جنوده قائلًا لهم: (هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأرضوا الله بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبيوه وأنتم متساندون، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن مَن وراءكم لو يعلم عملكم حالَ بينكم وبين هذا، فاعملوا في ما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه رأي من وليكم ومحبته)[1]

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٩٥ عبد الوهاب النجار، ص ٩٨ محمود شاكر، ص ٩٥

ثم تقدم أبو سفيان بن حرب وهو واعظ إسلامي، وقال: (الله.. الله، إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللَّهُمَّ إنَّ هذا يوم من أيامك، اللَّهُمَّ أنزل نصرك على عبادك)[١]

بلغ عدد الكراديس ستة وثلاثين كردوسًا في كل كردوس (فرقة) ألف مجاهد، واستعد المسلمون للقتال، وقرؤوا سورة الأنفال (الجهاد)، وأمر خالد بن الوليد قادة الجيش (القعقاع بن عمرو، وشرحبيل بن حسنة) بالهجوم على الروم، فالتحم الفرسان من الطرفين.

أحداث المعركة

اليوم الأول:

اشتبك الطرفان، فنجح عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في قتل خمسة من قادة الروم البيزنطيّين، مما جعل (ماهان) يأمر باستخدام النبال ضد المسلمين؛ مما سبب أذى كبيرًا لجنود المسلمين.

اليوم الثاني:

قرر ماهان شنَّ هجومٍ مفاجئ عند الفجر، لكن يقظة خالد بن الوليد وحكمته جعلته يضع نقاطَ مراقبة سرية أفشلت الهجوم المفاجئ لقوات الروم، وتمكن ضرار بن الأزور من قتل القائد الروماني (دريجان) رغم كثافة الحرس حوله.

اليوم الثالث:

بدأ هجوم الروم على لواء عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، فتراجع الاثنان إلى معسكرهم بسبب شدة ضربات الروم، وكثرة عددهم، فتدخل خالد بن الوليد بقواته المتحركة، وهاجم جيش ماهان، ونجح في صدهم عن لواء شرحبيل، وأجبرهم على التراجع إلى مواقعهم.

اليوم الرابع:

تراجع شرحبيل مرة ثانية أمام ضربات الروم الشديدة، لاسيما ضربات الخيالة العرب المسيحيّين الذين يقودهم (جبلة بن الأيهم)، وتراجع عمرو بن العاص أمام ضربات جيش الروم الذي يقوده (قناطر السلافي) فشارك أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧ عبد الوهاب النجار، ص ٩٩ محمود شاكر، ص ٩٧

بالهجوم ضد القوات الرومانية؛ لإشغالهم عن الهجوم الشامل، ونجحا في إجبارهم على التراجع لمعسكرهم، فأخذوا يرمون جيش المسلمين بالنبال الدقيقة مما أدى لإصابات خطيرة في عيون بعض القادة المسلمين، منهم (أبو سفيان، والمغيرة بن شعبة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن مكشوح، والأشتر النخعى)، وقد سمي هذا اليوم بيوم (خسارة العيون). هكذا لاحت علامات الهزيمة على جيش المسلمين، لكن عكرمة بن أبي جهل طلب من المسلمين أن يقسموا (إمّا الشهادة أو النصر) فلبوا النداء، وأقسم أكثر من أربعمائة مجاهدٍ، وقاتلوا بكل جدارة وإيمان حتى تمكنوا من إيقاف زحف الروم، وقتلوا منهم ما يقارب عدد القتلى من المسلمين، وأصيب عكرمة وابنه عمرو إصابات بالغة أدت لاستشهاد الاثنين.(١)

اليوم الخامس:

طلب ماهان وقف القتال لمدة ثلاثة أيام، لكن خالد بن الوليد رفض ذلك، وقال لمبعوث الروم: (نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا). وعرف خالد أن همة الروم القتالية قد ضعفت لذلك اتخذ خطة هجومية بدل خطته الدفاعية، بحيث يعزل فرق الفرسان الرومانية عن فرق المشاة، وبذلك يصبح المشاة دون حماية، ويسهل التغلب عليهم وهزيمتهم.

اليوم السادس:

بدأ يزيد بن أبي سفيان الهجوم من الميسرة، وأبو عبيدة بن الجراح من القلب على جبهتين، وهاجم خالد بن الوليد ميمنة جيش الروم بفرقة الخيالة المتحركة، وهاجم عمرو بن العاص ميسرة الروم ذات الأكثرية من السلاف الأشداء في القتال، ويقودهم (قناطر) الذي صمد لهجوم المسلمين، لكنه تراجع نحو القوات الأرمينية الرومانية التي كان يقودها ماهان، وذلك لأنه فقد الدعمَ من فرقة الخيالة الرومانية التي انشغلت بصد هجوم الفرسان المسلمين.

هاجم عمرو بن العاص قلبَ الجيش الروماني من جهة اليسار، مما جعل جيشهم يصاب باختلال في التوازن بسبب تراجع الجنود السلاف أمام هجوم عمرو بن العاص، وشدد شرحبيل - قائد الجهة اليمنى في جيش المسلمين - على قلب الجيش الروماني، وأوعز خالد بن الوليد للفرسان بترك القتال الرئيسي والعودة لعزل الخيالة البيزنطيين عن فرق

(١) مصطفى بدر، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ٢٠٨

المشاة، وإجبارهم على الاتجاه شمالًا، فحاول القائد ماهان تجميع الخيالة خلف قلب جيشه، وذلك لهجوم معاكس ضد الفرسان المسلمين، ولكنه تأخر في هذا الإجراء؛ لأن الفرسان المسلمين كانوا الأسرع في الهجوم بقيادة خالد بن الوليد، مما أدى لهزيمة الخيالة البيزنطيّين، وإجبارهم على الفرار باتجاه الشمال كما كان مخططًا لهم من قبل المسلمين، وتم ذلك وسط رعب شديد، وفوضى عارمة بين صفوف الجيش الروماني الذي ترك المشاة وحدهم يواجهون مصيرهم، ومن بينهم قوات جبلة بن الأيهم التي اتجهت نحو دمشق بعد هذا النصر المبكر الذي حققته القوات الإسلامية، فتحول خالد بن الوليد لقتال نواة جيش الروم وهم من الأرمن الذين يقودهم ماهان، وهم من الأشداء الذين نجحوا في اختراق جيش المسلمين لولا فرقة الخيالة التي كان يقودها خالد بن الوليد وفرقة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، الذين طوقوا القوات الأرمينية، فلم يعد أمامها إلا الفرار فاتجهت نحو (وادي الرقاد) غربًا. وعندما وصلت إلى الممر الضيق عند النهر (عرضه ٥٠٠م) وجدوا خمسمائة فارسًا من فرسان المسلمين بقيادة ضرار بن الأزور بانتظارهم.

حسم المعركة

بدأ الحسم عندما اتجه القسم الأكبر من القوات الرومانية نحو جرف نهر اليرموك، وهذا أدى إلى اختلال التوازن في الجيش الروماني الذي لم يتمكن من تفادي الصدام بالقوات الإسلامية، ولم يتمكن من الصمود في وجهها أو هزيمتها، فسقط عدد كبير من القوات الرومانية قتلى في جرف نهر اليرموك، ومنهم من وقع أسيرًا. وقد بلغ عدد قتلى الجيش الروماني مائة وعشرين ألفًا، وتابع خالد بن الوليد فلولَ الهاربين من الجيش الروماني باتجاه دمشق ومعهم ماهان، فلما علم هرقل بما حلّ من هزيمة نكراء في جيشه أخلى سورية، وقال قوله المشهور: (عليك يا سورية السلام، ونعم البلد أنت للعدو، وداعًا يا دمشق لا لقاء بعده)[١]

واشتبك خالد مع الهاربين، ونجح أحد المجاهدين المسلمين في قتل ماهان، وأصيب من المسلمين في هذه المعركة ثلاثة آلاف مجاهدٍ بين شهيد وجريح. وفي أثناء المعركة، حمل البريدُ خبرَ وفاة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والأمر من الخليفة عمر بن الخطاب

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٣ شكري فيصل، ص ٤٣ محمود شاكر، ص ٩٨ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٩

بعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش الإسلامي وتسليمها لأبي عبيدة عامر بن الجراح، وذلك في رجب عام ١٣ / هـ، لكن تسليم القيادة وتنفيذ أمر الخليفة الجديد تم بعد انتهاء المعركة؛ حتى لا يؤثر عزل خالد عن القيادة على معنويات الجنود المسلمين، ولا يسبب أي خلل. وقد سلم خالد القيادة لأبي عبيدة، وقال: (الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولي عمر وكان أبغض إليّ من أبي بكر، ثم ألزمني حبه واحترامه)(١)

الولايات في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

قسمت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى عدة أقسام إدارية؛ ليسهل إدارتها وضبطها، وسميت تلك الأقسام بالولايات، وهي:

١ - مكة المكرمة، واليها عتاب بن أسيد، وكان واليًا منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٢ - الطائف، واليها عثمان بن أبي الثقفي.

٣ - صنعاء، واليها المهاجر بن أبي أمية.

٤ - حضرموت، واليها زياد بن لبيد.

٥ - خولان في جبال اليمن الشرقية، وسميت بذلك نسبة لقبيلة خولان، وكان واليها يعلي بن أمية.

٦ - زبيد، واليها أبو موسى الأشعري.

٧ - نجران، واليها يزيد بن عبد المدان بن الديان من عهد النبي(صلى الله عليه وسلم)، وفيها قبائل عربية من بني الحارث بن كعب بن علة من مذحج وبني ذهل بن مزيقيا من الأزد، وكانت زعامتهم من بني الحارث بن كعب، وقد وفد أخوه حجر بن عبد المدان على النبي (صلى الله عليه وسلم) على يد خالد بن الوليد، وتولى نجران في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) جرير بن عبد الله البجلي.

٨ - البحرين، واليها العلاء بن الحضرمي.

٩ - جرش (مخلاف في اليمن)، واليها عبد الله بن ثور.

١٠ - دومة الجندل، واليها عياض بن غنم.

---

(١) الخضري بك، ج ١ ص ١٩٤ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٩

١١ - أمير جند العراق المثنى بن حارثة الشيباني، وكان مركزه الحيرة.

١٢ - أمير جند الشام خالد بن الوليد القرشي المخزومي.

وكان يقضي له عمر بن الخطاب وأمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وكان يكتب له عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم أجمعين.

وقبل أن يتوفى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) كان يقول ويدعو الله (عز وجل): (اللَّهُمَّ توفني مسلمًا، وألحقني بالصالحين). وهذا آخر كلامه في الدنيا (عليه رحمة الله).



- مرض الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).
- استخلافه لسيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
- وفاة أبي بكر الصديق (رحمه الله).
- الخاتمة.

الفصل الثامن

مرض أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة[١] كانا يأكلان من خزيرة أهديت لأبي بكر، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها سمًّا لسنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فرفع يده ولم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة)[٢] قال ابن سعد عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (كان بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحُمَّ خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة للهجرة، وعمره ثلاثٌ وستون عامًا)[٣]

قال أبو بكر عندما كان يحتضر: (ما آسى على شيء إلا ثلاثٍ فعلتها ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنها: فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها:

١ – وددت لو أني لم أكن فتشت بيت فاطمة (رضي الله عنها).

٢ – وددت لو أني لم أكن أحرقت الفجاءة، وأطلقته نجيًّا، أو قتلته صريحًا.

٣ – وددت لو أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، فكان أميرًا وكنت وزيرًا.

والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها:

١ – وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرًا، ضربت عنقه؛ فإنه قد خيل لي أنه لا يرى شرًّا إلا أعانه.

---

(١) ثقفي من الطائف، طبيب عربي من الحكماء، أدرك الجاهلية، أخذ الطب عن أهل فارس.

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٩٨

(٣) ابن سعد، ج ٣ ص ٢٠٢

٢ – وددت أني كنت قد قذفت المشرق لعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله.

٣ – وددت أني يوم جهزت جيش الردة، ورجعت أقمت مكاني في ذي القصة، فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مددًا.

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله (ﷺ) عنها:

١ – وددت لو أني سألته لمن هذا الأمر؟ فلا ينازع الأمر أهله.

٢ – وددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ، فإن بنفسي منها حاجة.

٣ – وددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب، فنعطيهم إياه.[١]

استخلاف أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما):

وورد أنه لما ثقل المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) دعا عبد الرحمن بن عوف، وقال له: (أخبرني عن عمر بن الخطاب، قال: أنت أعلم به مني. قال أبو بكر: وإن كنت كذلك. قال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه. ثم دعا عثمان بن عفان، وقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال كما قال عبد الرحمن، فقال أبو بكر: وإنْ. فقال عثمان: (اللَّهُمَّ علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله) ثم شاور سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: (اللَّهُمَّ أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. ودخل عليه بعض الصحابة، فقال: (ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟ قال أبو بكر(رضي الله عنه): أبالله تخوفني؟ أقول: اللَّهُمَّ إني استخلفت عليهم خير أهلك. أبلغ عني ما قلت من وراءك، ثم دعا عثمان، فقال له: أكتب العهد فكتب.

دخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر في مرضه، وسأله: كيف أصبحت يا خليفة رسول الله (ﷺ)؟ قال: أصبحت موليًا، وقد زودتم علَى ما بي عندما رأيتموني استعملت رجلًا منكم، فكلكم قد أصبح وارمَ أنفه، وكلٌّ يطلبها لنفسه، فقال عبد الرحمن: والله ما أعلم صاحبك إلا صالحًا مصلحًا، فلا تأس على الدنيا)[٢]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ ص ٢٦٧

(٢) اليعقوبي، ج ٢ ص ١٣٦

عندما اشتد المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، جمع كبار الصحابة واستشارهم في استخلافه لعمر بن الخطاب، منهم: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا: خيرًا ما تفعل. فدعا عثمان، وأملى عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما عهد به أبو بكر الصديق خليفة محمد (صلى الله عليه وسلم) عند آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر، ويصدق الكاذب، إنني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرًا، فإن برَّ وعدَلَ فذلك ظني وعلمي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب. وقرأ قول الله تعالى: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[١]

وأمر بالكتاب، فختمه، فبايع الناسُ، ورضوا به، ثم دعا أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب خاليًا فأوصاه بما تيسر، ثم رفع أبو بكر يديه إلى السماء، وقال: (اللّهُمَّ إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيًا، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم؛ فهم عبادُك، ونواصيهم بيدك، أصلح اللّهُمَّ ولاتهم واجعلهم من خلفائك الراشدين، وأصلح لهم رعيته)[٢]

ولما ثقل المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أشرف على الناس من كوة، فقال: (أيها الناس، إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقام سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقال: (لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب، فكان عمر)[٣]

وتمت قراءة العهد على الناس، فأطلَّ أبو بكر عليهم، وقال لهم:

(أترضون من أستخلف عليكم، فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له، وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم قال لعمر بن الخطاب: (إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا عمر، إن لله حقًّا بالليل لا يقبله في النهار،

(١) تاريخ ابن خلدون، مجلد ٢ ص ٨٦ سورة الشعراء، الآية ٢٢٧

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٢ ص ٢٠٠ ابن حيان في الثقات، ج ٢ ص ١٩٢

(٣) ابن أبي شيبة، ص ٣٠٢٠

وحقًّا في النهار لا يقبله في الليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفريضة... ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء؛ ليكون المؤمن راغبًا وراهبًا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه، ألم تر يا عمر أن الله (عز وجل) إنما ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، فإذا ذكرتها، قلت إني لأرجو الله أن لا أكون منهم، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم؛ لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء.. فإن حفظت وصيتي، فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر الموت، ولست بمعجزه).

وقال البعض: أفرس الناس ثلاثة: (أبو بكر لأنه استخلف عمر بن الخطاب، وصاحبة موسى حين قالت لأبيها استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، والعزيز حين تفرس بيوسف – عليه السلام – وقال لامرأته أكرمي مثواه)[1]

وفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

أوصى أبو بكر أثناء مرضه أن تغسّله زوجته (أسماء بنت عميس، وابنه عبد الرحمن) وأن يكفن في ثوبيْه، وقال: (الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهنة والصديد). وهذا القول لأنه كان قد طلب ثوبًا ثالثًا جديدًا"[2]

قالت عائشة (رضي الله عنها): لما ثقل المرض على أبي بكر، تمثلت هذا البيت من الشعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف أبو بكر عن وجهه، وقال لها:

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[3] انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوجُ إلى الجديد من الميت)[4]

وقال: في أي يوم توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالت: يوم الاثنين. قال: أرجو

(١) ابن أبي شيبة، ٢٠٥٨ الطبراني في الكبير، ج ٩ ص ١٦٧ الحاكم، ص ٣٣٢٠

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٨

(٣) ق، الآية ١٩

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٤

فيما بيني وبين الليل فتوفي ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح)[١] وأخرج عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي إلى الغد، فإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ[٢] وعندما وصل خبر وفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى أبيه - أبي قحافة - قال: أمر جلل، والذي قبله أجل منه) يعني وفاة النبي (ﷺ)، ثم سأل: من قام بالأمر؟ قالوا: عمر بن الخطاب. قال: هو صاحبه، وأهل له)[٣]

توفي الخليفة أبو بكر الصديق عام ١٣ / هـ لثمانِ ليالٍ بقين من جمادى الآخرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وعمره ثلاثة وستون عامًا[٤] وقد غسّلته - حسب وصيته - زوجته أسماء بنت عميس، وابنه عبد الرحمن، وكفن في أثوابه، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ودفن ليلًا في حجرة عائشة (رضي الله عنها) بجوار قبر النبي(ﷺ)[٥]

ودخل قبره ابنه عبد الرحمن، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله[٦]

(١) ابن سعد، ج ٣ ص ١٩٦

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢٠٧

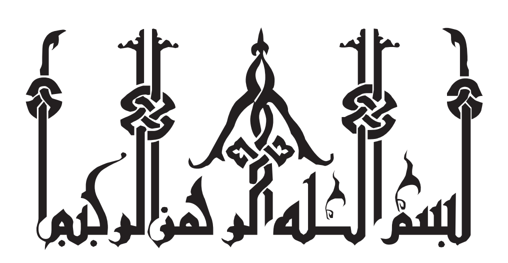
(٣) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢١٠

(٤) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٨ الطبري، تاريخ ألأمم والملوك، ج ٣ ص ٢٠ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٩

(٥) عبد الوهاب النجار، ص ١٠٢

(٦) أحمد، ج ٤ ص ٩٧ مسلم، ص ٢٣٥٢

الخاتمة



الحمد الله الذي أعانني على إنجاز هذا الكتاب الذي كتبت فيه سيرة الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وأرضاه، وأنا كلي حماس؛ لأنني مسلم غيور على دينه الإسلام، ومحب لعلمائه المسلمين، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) رضي الله عنهم أجمعين.

وها أنا قد أنجزت بعون الله (عز وجل) سيرة واحد أعظمهم، إنه (الصديق، رضي الله عنه). وكلي أمل أن أتابع إنجاز سيرة الخلفاء (عمر، وعثمان، وعلي) طالبًا العون والتوفيق من الله (عز وجل)، فهم مشاعل للإسلام والمسلمين يجب أن تظل سيرهم المضيئة تُتَداول لتنير عقول أجيالنا، فهم قدوة حسنة لنا ولأجيالنا بامتياز.

وقد تعمدت في كتابي عن الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الدقة والموضوعية، فجمعت ما ألهمني إياه ربي (عز وجل) من معلومات متوفرة، ومن مصادر متنوعة؛ لأقدم صورة متكاملة عن أول قائد للأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فبدأت بسيرته من الجاهلية حتى بداية الإسلام، وملازمته للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ بعثته حتى وفاته، ثم انتقلت للمرحلة الثانية من حياة أبي بكر، والتي بدأت منذ توليه الخلافة حتى وفاته، وبين خلافته ووفاته كانت أحداث كثيرة عالجها بحكمة واقتدار، فنشر الإسلام وثبته، ومنع الفتن، وأتم بناء الدولة الإسلامية على أسس قوية. وقد أبرزت تلك الأحداث وألقيت عليها الأضواء مُزِيلًا كلَّ لبس أو غموض، ومن أبرز تلك الأحداث:

اختيار نظام حكم للمسلمين من نصوص القرآن الكريم، حروب الردة، الفتوحات الإسلامية في العراق وبلاد الشام، وخلال هذه الفترة التاريخية تم توضيح سياسة أبي بكر الصديق على كل المستويات الإدارية والعسكرية والاقتصادية، وذلك حسب سير الأحداث ومقتضيات الأمور.

أتمنى أن ينال ما أنجزته رضا الله (ﷻ)، ثم رضا القارئ المسلم أينما كان.

(اللَّهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا)

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

جميل محمد أبو الندى

المصادر والمراجع

إن المراجع والمصادر المذكورة هنا بشأن البحث التاريخي الإسلامي، وهو الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مرتبة على أسماء المؤرخين والمؤلفين ترتيبًا ألفبائيًّا، وقد اعتمدت في ذلك الاسم فاللقب لسهولة الرجوع إليه، إلا إذا كان المؤرخ أو المؤلف مشهورًا بلقبه أو كنيته.

١ - ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم بن محمد الجزري الشيباني) - الكامل في التاريخ - دار صادر بيروت - ١٩٧٩م.
٢ - ابن أبي داوود (الإمام أبو داوود سليمان السجستاني) - تحقيق عزت الدعاس - سورية - ١٣٩١هـ.
٣ - ابن أبي شيبة (عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العبسي الحافظ أبي بكر) - كتاب المصنف - ١٥٩هـ - ٢٣٥هـ
٤ - ابن حيان (محمد بن حيان بن أحمد بن حيان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدرامي البستي السجستاني) - كتاب الثقات - المكتبة الوقفية المصورة.
٥ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي):
أ - في المقدمة.
ب - تاريخ ابن خلدون.
بيروت - منشورات - مؤسسة الأعلمي - ١٩٧١م.
٦ - ابن إسحق - في السيرة النبوية - الطبعة العلمية أونلاين - ٢٠١٦م.
٧ - ابن سعد (محمد بن منيع) - الطبقات الكبرى - ط دار صادر بيروت - ١٩٧٥م.
٨ - الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) - في الأحكام السلطانية والولايات الدينية - القاهرة - ١٩٩٢م.
٩ - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايمار الذهبي - في سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - ١٤١٠/ هـ-١٩٩٠م.
١٠ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - في المستدرك على الصحيحين.
١١ - ابن عساكر علي بن الحسن - تاريخ دمشق الكبير - دار المسيرة - بيروت - ١٩٧٧م.
١٢ - ابن كثير الحافظ الدمشقي - في البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٦٦م.

١٣ - أبو الفرج الأصفهاني - (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي) - كتاب الأغاني - ٢٨٤/ هـ - ٣٥٦/ هـ - ٨٩٧ م - ٩٦٧م.
١٤ - (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري) - صحيح البخاري - دار الفكر ط١ - ١٤١١/ هـ - ١٩٩١م.
١٥ - ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) - الإمامة والسياسة - مؤسسة الوفاء - بيروت - ١٩٨١م.
١٦ - أبو الفضل البيهقي - تاريخ البيهقي - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٢م.
١٧ - ابن ماجه (محمد بن يزيد الحافظ الكبير الحجة المفسر أبو عبد الله) - سير أعلام النبلاء.
١٨ - ابن منظور (جمال الدين بن مكرم بن منظور) - لسان العرب - دار صادر - بيروت.
١٩ - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب) - في السيرة النبوية - القاهرة - ١٩٣٦م - ط مصطفى الحلبي.
٢٠ - أحمد إبراهيم الشريف - دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة - القاهرة - ١٩٦٨م.
٢١ - أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي):
أ - المسند - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٦٤هـ٢٤١هـ.
ب - فضائل الصحابة - دار ابن الجوزي - السعودية - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٢٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل) - الإصابة في تمييز الصحابة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥/ هـ١٩٩٥م.
٢٣ - أحمد النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي) في سير أعلام النبلاء.
٢٤ - برنارد لويس - العرب في التاريخ - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - ٢٠٠٩م.
٢٥ - د. بشير رمضان التليسي - د. جمال هاشم الذويب - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.
٢٦ - د. حسن إبراهيم حسن - النظم الإسلامية - مكتبة النهضة - القاهرة - ١٩٩٢م.
٢٧ - خليفة بن خياط الليثي العصفري - تاريخ خليفة بن خياط - بغداد - ١٩٦٧م.
٢٨ - رفاعة الطهطاوي - الأعمال الكاملة - ج٣ ط - بيروت، ١٩٧٤م.

٢٩ – د. شكري بن عمر فيصل – حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول – دار العلم للملايين – بيروت.
٣٠ – عبد الحكيم الكعبي – عصر الخلفاء الراشدين – دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن – عمان – ٢٠٠٩م.
٣١ – عبد الكريم الخطيب – الخلافة والإمامة – ط القاهرة – ١٩٦٣م.
٣٢ – عبد الوهاب النجار – الخلفاء الراشدون – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٩م.
٣٣ – علي حسن إبراهيم – التاريخ الإسلامي العام – مكتبة الفلاح – الكويت ومكتبة النهضة المصرية في القاهرة.
٣٤ – علي حسني الخربوطلي – الدولة العربية الإسلامية – مكتبة الخانجي للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٧٥م.
٣٥ – علي محمد الصلابي – الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق – دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية.
٣٦ – د. فايد حماد عاشور، وسليمان مصلح أبو عزب – دولة الإسلام الأولى في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين – دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع – ١٩٨٩م.
٣٧ – مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني – كتاب الموطأ – ٩٤/ هـ- ١٧٩/ هـ- ٧١٢ م – ٧٩٥م.
٣٨ – محمد حسين هيكل – أبو بكر الصديق – دار المعارف – مصر – ١٩٧٩م.
٣٩ – محمد سهيل طقوش – التاريخ الإسلامي الوجيز – دار النفائس – بيروت – لبنان – ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٤٠ – محمد الخضري بك – إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء – بيروت – ١٩٦٦م.
٤١ – د. محمد عمارة – موسوعة الحضارة العربية الإسلامية – المجلد الثاني.
٤٢ – مصطفى بدر – موسوعة التاريخ الإسلامي – الجزء الأول – الناشر مركز الراية للنشر والإعلام – ٢٠١٠م.
٤٣ – د. محمود شاكر – التاريخ الإسلامي (الخلفاء الراشدون) – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٧ – ١٩٩١م.
٤٤ – البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر) – فتوح البلدان – ط لندن – تحقيق د. صلاح المنجد.

٤٥ – الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي) – دار الفكر سورية – ١٣٩٨هـ.
٤٦ – الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي – تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
٤٧ – الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) – تاريخ البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٦٧م.
٤٨ – السير توماس أرنولد – الدعوة للإسلام – مكتبة تجديد الكتب – ترجمة د٠حسن إبراهيم.
٤٩ – د.السيد عبد العزيز سالم – تاريخ الدولة العربية – مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية للطباعة والنشر.
٥٠ – السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) – تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٢م.
٥١ – الأصفهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني) – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٢ – الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) – تاريخ الأمم والملوك – دار المعارف – مصر ١٩٦٨م.
٥٣ – الطبراني – في المعجم الكبير – ج١ – تحقيق عبد المجيد السلفي – الدار العربي للطباعة – بغداد ١٤٠٠هـ.
٥٤ – المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي) – مروج الذهب ومعادن الجوهر – القاهرة – ١٩٦٧م.
٥٥ – الإمام النووي (أبو زكريا يحي بن شرف الحزامي النووي الشافعي) – تهذيب الأسماء واللغات – ٦٢١ / هـ١٢٣٣م.
٥٦ – الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي) – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – دار الريان – القاهرة ودار الكتاب العربي – بيروت.
٥٧ – اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب واضح) – تاريخ اليعقوبي – دار صادر – بيروت – ١٩٦٠م.
٥٨ – ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي) – معجم البلدان – المجلد الرابع – دار صادر – بيروت – ١٩٧٩م.



المؤلف في سطور

جميل محمد أبو الندى

فلسطيني من مواليد قرية الطنطورة ١/ ١/ ١٩٤٥ / م

المؤهل الجامعي

إجازة في الآداب - قسم التاريخ - جامعة دمشق ١٩٧٦م

المؤهلات التربوية:

دبلوم (أهلية التعليم الابتدائي) دمشق ١٩٦٨م

دبلوم عام في التربية - جامعة قطر ١٩٨٤م

مدرس في مدارس دمشق منذ عام ١٩٦٨م إلى عام ١٩٧٩م

مدرس في مدارس دولة قطر منذ عام ١٩٧٩م إلى٢٠٠٤م

عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين العرب

صدر للمؤلف:

- كتاب البرامكة ودورهم في التاريخ العباسي - عن مكتبة دار الكرامة - دمشق - مخيم اليرموك - عام ٢٠١٠ م.
- كتاب الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية - عن مطبعة اتحاد الكتاب والصحفيين العرب - في دمشق عام ٢٠١٢ م.
- كتاب الخلافة الأموية وإنجازاتها العربية الإسلامية - مكتبة الثقافة - دولة قطر - الدوحة - عام ٢٠١٦م

المؤلف: جميل محمد أبو الندى

فهرس المحتويات

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن


إلهي
أنت مقصودي ورضاك مطلوبي